ومن النهاية
كانت البداية

تأليف

باسل محمد بن خضراء

مركز الأبحاث العقائدية :

● إيران ـ قم المقدسة ـ صفائية ـ ممتاز ـ رقم ٣٤
ص . ب : ٣٣٣١ / ٣٧١٨٥
الهاتف : ٧٧٤٢٠٨٨ (٢٥١) (٠٠٩٨)
الفاكس : ٧٧٤٢٠٥٦ (٢٥١) (٠٠٩٨)
● العراق ـ النجف الأشرف ـ شارع الرسول (صلى الله عليه وآله)
جنب مكتب آية الله العظمى السيد السيستاني دام ظله
ص . ب : ٧٢٩
الهاتف : ٣٣٢٦٧٩ (٣٣) (٠٠٩٦٤)
● الموقع على الانترنت: www.aqaed.com
● البريد الالكتروني : info@aqaed.com

شابك (ردمك) : ٩ ـ ١٢ ـ ٨٦٢٩ ـ ٩٦٤

ومن النهاية
كانت البداية

تأليف
باسل محمد بن خضراء

الطبعة الاولى ـ ٢٠٠٠ نسخة
سنة الطبع : ١٤٢٥هـ
المطبعة : ستارة

بسم الله الرحمن الرحيم

دليل الكتاب

مقدمة المركز:

إن طهارة القلب وخلوه من الشوائب تعتبر من أهم الأسباب التي تدفع الباحث عن الحقيقة إلى اعتناقها حينما يجدها على خلاف ما كان يعتقده فيما سبق..

لكن المشكلة تكمن في أن الكثير من الباحثين في الشؤون العقائدية يبحثون ليجمعوا الأدلّة التي تدعم ما ورثوه من معتقدات فحسب.

فهذا الصنف من الباحثين يتحكّمون من البداية بمسار بحثهم، لئلاّ يحيد بهم عما ورثوه، وإن صادف أن تبين لهم الحق على خلاف ما كانوا عليه، فانّهم يغضون أبصارهم عنه، وكأنهم لم يروا شيئاً؛ لأنّهم لا يريدون أن يؤدي بهم البحث إلى مواجهة موروثاتهم الدينية، وهذا شأن الباحثين الذين يريدون أن تتماشى الحقيقة مع أهوائهم ومصالحهم الشخصية.

ولكن، يوجد صنف آخر من الباحثين قد وطّنوا أنفسهم لتقبل الحق مهما كلّفهم الأمر، ولو أدى بهم ذلك إلى التضحية بكل

ممتلكاتهم، أو الابتعاد عن الأهل والأصدقاء والأحبة.

ويمكننا عد الأستاذ باسل محمد بن خضراء الحسني من هؤلاء، لأنه توجه إلى البحث في الأمور العقائدية، فلما وجد الحق على خلاف ما كان يقدسه فيما سبق، لم تأخذه في ا لومة لائم، وهجر كل ما يصده عن اعتناق الحقيقة، وواصل طريقه إلى الحق، واقتحم جميع العقبات التي جعلها البعض في طريقه ليصدوه عن مواصلة دربه..

وكانت نتيجة بحثه أنه تخلّى عن مذهبه السابق والتحق بركب أهل البيت (عليهم السلام).

ثم حاول الأستاذ باسل أن يوصل نداءه إلى إخوته من أهل السنة، ليكونوا على بصيرة من أمرهم، وليتحرروا من الغفلة التي يعيشون في ظلالها نتيجة عدم اهتمامهم بصحة أو سقم ما ورثوه من أمور عقائدية، فدون تجربته التي أوصلته في نهاية المطاف إلى اعتناق مذهب أهل البيت (عليهم السلام).

وحاول الأستاذ باسل أن لا يعيقه صعوبة التعبير الأدبي عن تبيين ما وصل إليه من قضايا مهمة إلى الآخرين، فدون كتابه بأسلوبه البسيط ليعبر فيه بصدق وإخلاص عما لاقاه خلال رحلته من المذهب السني إلى مذهب أهل البيت (عليهم السلام).

ويأمل المركز أن تكون أمثال هذه الكتب التي ينشرها عبر "سلسلة الرحلة إلى الثقلين" نافذة ينفتح من خلالها الشباب المثقّف على تجربة الذين أخذت الأدلّة بأيديهم إلى اعتناق مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، ليدفعهم ذلك إلى عدم الاكتفاء بالموروث العقائدي، والتوجه إلى البحث من أجل نيل معتقدات مبتنية على الأسس العلمية المتينة والمرتكزات الفكرية الرصينة.

مركز الأبحاث العقائدية

فارس الحسون

إهداء:

إلى سيدي ومولاي رسول اللّه الأعظم (صلى ا   عليه وآله وسلم).

إلى مولاي قسيم الجنة والنار حيدر الكرار (عليه السلام).

إلى مولاتي الطاهرة الزهراء البتول (عليها السلام).

إلى سيدي السبطين الزكيين الحسن والحسين (عليهما السلام).

إلى باقي الأئمة الحجج الكرام المعصومين (عليهم السلام)، لا سيما صاحب الزمان ومظهر الدين ومبيد الشرك والطغيان الإمام الحجة جعلنا اللّه من أنصاره.

إلى روح والدتي الغالية التي افتقدها.

إلى كل باحث وجاد في تقصي حقيقة سنّة الرسول الأكرم (صلى ا   عليه وآله) التي أضاعها مدعوا السنّة وأدخلوا فيها البدع.

باسل محمد بن خضراء الحسني

تمهيد:

الحمد   رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلق ا   وصفوته سيدنا النبي الأكرم محمد بن عبدا ، وعلى آل بيته الطاهرين المعصومين آل العباء والسادة النجباء الذين لا تقبل لنا صلاة إلاّ بالصلاة عليهم والتسليم، واللعنة على أعدائهم أجمعين.

إن من أهم القضايا الإسلامية، وحتى الإنسانية، التي تعيق حركة الفكر والحياة، هي التعصب، وللتعصب هذا عدة اتجاهات، منها السياسي والفكري، والاجتماعي والديني.

والتعصب الديني له عدة فروع، من أهمها التعصب المذهبي، والعصبية هذه هي شقاء للنفس الإنسانية، فهي تدخل في صراع مع النفس، ومن ثم تخرج للصراع مع المجتمع، ولا يكون هذا الصراع محسوماً أبداً طالما أنه موجود في الطرفين أو في طرف واحد.

فالتعصب هو استبداد بالرأي ووجهات النظر، ورفض وصد وجهة نظر ورأي الآخر، وهذا يؤدي إلى رفض موجودية الآخر، بغض النظر عن ماهية التعصب، سياسية كانت أم دينية ومذهبية، فالمتعصب هو صاحب روح دكتاتورية متحلّية بالتسلّط والعدوان،

وأحياناً فرض الرأي بالقوة.

وإنّنا اليوم قد أصبحنا في قرن جديد، تطورت فيه مناهج البحث والمعرفة، وأصبح بإمكان أي فرد البحث وسبر أغوار ما يريد من فكر سياسي أو ديني دون أن يتحفّظ أو أن يمنعه أحد.

ونحن اليوم في عالمنا المعاصر لسنا كالسابق حيث كان البحث والحوار مقتصراً على أفراد معينين وكان لا يحق لأحد اعتراضهم أو نقاشهم، بل كانوا هم المتفردين في وضع القوانين وتفسيرها.

كما أن مفهوم التعصب يعد أمراً مدمراً للأمة الإسلامية، حيث يجعلها عرضة للتفرقة والتشرذم، ويخلق عداء دائماً بين أطراف الأمة الإسلامية.

ولوحظ أن العداء والتعصب لا يأتي إلاّ من نقص حاصل في النفوس، فهو وسيلة لإخفاء الأخطاء والعيوب، وقد قال الإمام علي (عليه السلام): "ليكن أفضل الناس عندك من أهدى إليك عيبك أو خطأك" (١).

ويأتي التعصب أحياناً من جهل حاصل بالأمور المحيطة، وعدم تنشيط العقل وتفعيله، وعدم فتح الحوار مع الآخر، بغض النظر عن أفكار ورؤى الطرف الآخر.

---

(١) شرح نهج البلاغة، لمحمد عبده: غرر الكلم.

وبالنسبة لنا كأُمة إسلامية يجب علينا فتح الحوار والتفكر، وقد خاطبنا ا سبحانه وتعالى، وحثّنا مرات عديدة على الحوار والتدبر والتفكر، كقوله تعالى: (ادع إِلى سبِيل ربك بِالْحكْمة والْموعظَة الْحسنَة) (١)، (أَفَلاَ يتَدبرون الْقُرآن) (٢)، (أَفَلا يعقلُون) (٣).

ولكننا إلى يومنا هذا لم نعرف قدر رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)، وإلى الآن لم نستوعب مقام وأهمية الإمام علي (عليه السلام) وأهل البيت (عليهم السلام)، ولم نفكّر أبداً بالرسالة المحمدية وأهميتها وسبل بقائها نقية بعد عصر النبوة، ولهذا نجد أن الكثير فسر السنة المحمدية وفق ما ترتأيه مصلحته وهواه.

وإن عدم معرفة مقام النبوة والإمامة دفع جملة من الناس إلى الاعتقاد بجواز وقوع الخطأ وصدوره من الأنبياء الماضين، وكذا خاتمهم سيدنا محمد (صلى ا عليه وآله وسلم)، فأدى هذا الأمر إلى القول بأن ما جاء به الخلفاء بعده (صلى ا عليه وآله وسلم) هو أفضل مما جاء به الرسول (صلى ا عليه وآله وسلم)، فنسفوا بذلك الرسالة المحمدية وضربوا بها عرض الحائط، زعماً منهم أن رسالة النبي (صلى ا عليه وآله وسلم)أو سياسته انحصرت بوجوده، فانطلقوا وفق ما ارتأت أنفسهم، بانين على أن النبي (صلى ا عليه وآله وسلم) لا علم له بالسياسة!

ومن هذا المنطلق أنكر بعضهم نص رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) لخلفائه،

---

(١) النحل: ١٢٥.

(٢) النساء: ٨٢، محمد: ٢٤.

(٣) يس: ٦٨.

ومنهم من أنكر الدور الرسالي لأهل البيت (عليهم السلام)بعد عصر النبوة، ومنهم من ابتدع قانوناً مفاده أن الخلافة والنبوة لا تجتمعان في بني هاشم، فرفضوا بالتالي ثلاثة أرباع النصوص الدينية الإلهية، وهذا ماخلّفه التعصب المذهبي فيما بعد ذلك، وجعلوا هالة من القداسة تحيط هؤلاء المنكرين، واختلقوا بعض الأحاديث في مدحهم؟

وفي الوهلة الأولى قد لا يشك أحد بهذه الأحاديث لقربها من النبي (صلى ا عليه وآله وسلم)، ولكن عندما يبحث الإنسان مع إلغاء حالة التعصب، فإنه سيجد الحق على خلاف ما ذهب إليه هؤلاء، وهذا ما جرى لي تقريباً.

ومن النهاية كانت البداية:

قد يستغرب البعض من هذه المقولة، أو يجد فيها غموضاً لا تفسير له، لكن من يواصل قراءة ما دونته يكتشف مدى صدقي فيها، وربما يمر بمثل هذه الحالة مع بعض الفروقات الثانوية.

فالمتعارف أن كلّ بداية لا بد لها من نهاية، وأن كلّ عمل لابد له من نهاية، والنهاية دائماً تكون نتاجاً للبداية، فمثلا من يزرع قمحاً يرى قمحاً ولا يرى شعيراً، ومن يزرع خيراً يحصد الخير.

والواقع أن ما حدث لي أن من النهاية كانت البداية، وانعكست عندي النظرية السائدة بأن من البداية تأتي النهاية، لأن النهاية فتحت لي آفاقاً واسعة، وكانت صدفة ليس أكثر، وضعت أمامي تساؤلات عديدة تكلّلت فيما بعد بالإجابة بعد بحث وسعي ومتابعة مضنية، لأنني عشت في ظروف حساسة، والتساؤلات التي خطرت على بالي لم تكن بالشيء العادي بالنسبة لشاب ولد بين أبوين ليس لهما غيره، وعاش وحيداً فترة من الزمن بعيداً عن شيء اسمه الصداقة أو الأخوة، إلى أن بدأ يحتك بالحياة بنفسه، فالوالدان كبار السن نوعاً ما، وخوفهما الزائد على ابنهما جعله في سجن متحرك

تُحسب عليه تحركاته وكلماته.

والمهم أنني عندما بلغت مرحلة الوعي كنت في مرحلة الإعدادية، فبدأ معي شعور معرفة من أنا، وهو سؤال يتبادر في ذهن كلّ إنسان.

فبدأت بإنشاء صداقات فشلت في بعضها، والسبب كان البيئة والتربية وليست الطبقية التي يظنها البعض، فطبيعة التربية التي نشأتُ فيها كانت تعاملني بمنطق إفعل ولا تفعل، إلى أن قيض ا سبحانه لي ظرفاً نقلني من الانعزالية إلى التدريج نحو اكتشاف الحياة، ماضيها وحاضرها، لم أكن متعصباً بالمفهوم السائد، لكن كنت أحسب لكلّ خطوة أخطيها، أو كلّ كلمة أقولها.

صحيح أن ما صادفته لم يكن بالحسبان، لكن عندما وجدتُ حاضري هشاً رخواً، أدركتُ أن الأساس كان غير سليم، فرأيتُ مصداق من يزرع شراً لا يحصد إلاّ الشر، هذا ماوجدته، زرعوا شراً للناس فانقلب الشر عليهم، ولكن بعد ماذا؟! بعد حقب من السنين كنا قابعين فيها، أنا وغيري ومن كان قبلي تحت ظلال التعتيم والتضليل واحتكار العلم، حتى وصل بنا الأمر أن تلقينا الدين بالوراثة والتقليد والتبعية، كما قال سبحانه وتعالى تبييناً لحال التبعية العمياء (إنا وجدنَا آباءنَا علَى ُأمة وإِنا علَى آثَارِهم مقْتَدون) (١).

---

(١) الزخرف: ٢٣.

ولكن ينزل ا تعالى رحمته على عباده، ورحمته وسعت كلّ شيء، فمن رواية وحادثة أو صدفة أدخلني الباري في دائرة البحث والخوض في غمار تاريخنا الإسلامي، فاكتشفتُ كم يجهل الإنسان تاريخه وماضيه، وكيف يخطط لمستقبل أساسه ماض متناقض متبعثر، فدققتُ وتابعت وسألتُ حتى انتبهت إلى أمور كنت غافلا عنها، وغيري أيضاً كذلك، غافلين عن عمقها، مع أنها تكاد تكون أمامنا!

وأنا الآن أقدم تجربتي لكلّ باحث عن الحقيقة فقد ينتفع بها، وقد يرى أنه يعاني ما عانيتُ منه فيما سبق، فيستفيد من تجربتي وكيفية تحرري من المأزق الذي كنتُ فيه، فأنا أطرح رووس أقلام فقط، لأنني إذا أردتُ كتابتها كلّها سيلزمني كتابة أضعاف ما كتبته في هذا الكتاب، فأنا أذكر النقاط الأساسية مع الاشارة إلى بعض الشواهد.

معرفة انتهاء أُصولنا إلى السادة الحسنيين:

في سنين مضت ذهبتُ مع والدي إلى مدينة "دوما" لزيارة أحد أقربائنا ـ يدعى المشرقي ـ بعد عودته من أداء فريضة الحج، وبعد وصولنا إلى بيته سلّمنا على الحاضرين ثم توجهنا إلى الغرفة التي يجلس فيها الحاج، وبعد تبادل التهاني جلست بجوار والدي لأستمع ما يحكيه الحاج حول رحلته، فبدأ الحاج بسرد الوقائع التي جرت له في الحج، وذكر الحالة الروحانية التي تحصل لكلّ حاج عندما يصل هناك، وخاصة عند دخوله المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف.

وبعد انصراف الضيوف المهنئين وبقاء أفراد العائلة بقيتُ مع والدي لأسمع قصة تعرف الحاج على أحد أقربائنا القادمين من المملكة المغربية، وذلك في يوم عرفة، وتم تبادل العناوين على أمل أن يزور أحدهما الآخر في المستقبل، وقد علم قريبي أن أصولنا تنتهي إلى المغرب، وترتبط بالشجرة الحسنية الشريفة من خلال الملك إدريس الأول والثاني مؤسسي دولة الأدارسة في المغرب العربي قبل ألف وثلاثمائة عام تقريباً، وقد ولد للملك إدريس الثاني

عدة أولاد ونشأوا وأقاموا في ولايات كثيرة وأعقبوا أبناء كان جد عائلتنا واحداً منهم.

المهم أن قريبي قرر السفر بعد فترة إلى المغرب ليتحقق من هذا الأمر، وبالفعل سافر الحاج المشرقي وبقي هناك مدة شهر، ثم عاد وهو يحمل صكاً بالاعتراف من قبل المملكة المغربية بتابعيتنا، وكان الصك موقعاً من قبل الملك ونوابه وجملة من علماء وأعيان الدولة.

وإن ما شد انتباهي ليس السفر، بل أنه كيف يعود نسبنا إلى الشجرة النبوية الحسنية المباركة، وما علاقة أو سبب وجودهما في المغرب، مع علمي أن رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) كان بالمدينه المنورة، ولماذا تفرقت هذه العائلة في الشرق والغرب؟!

تساؤلات لم أجد لها إجابة إلاّ بعد حين من الزمن، مع العلم أن قريبي الحاج علم بالقضية ولم يخبرنا بها لأسباب تعرفتُ عليها بعد فترة طويلة، وسأذكرها لاحقاً.

وذات يوم صادف أن جاء قريبنا هذا إلى منزلنا وطلب من والدي التهيؤ للسفر إلى المغرب للحصول على صك له أو ما يقال في العرف الحالي "الجنسية"، فجهز والدي نفسه للسفر، وأذكر أنه كان في عام ١٩٨٠م وتحديداً في صيفها، حيث كنتُ أعد نفسي لامتحان الصف الثاني من الاعدادية، وقد وعدني والدي إذا علم أنني نجحتُ

بالامتحان أن يشتري لي هدية ثمينة من المغرب.

وبالفعل سافر والدي، ودام سفره شهراً إلاّ بضعة أيام، وقدمت الامتحان ونجحت و الحمد، ثم عاد والدي وأنا في أشد الشوق لرؤيته وسماع أخباره وما جرى معه هناك، وأذكر أنّه عندما وصل إلى المنزل جلسنا حوله وطالت سهرتنا حتى الصباح، وفرحتُ جداً عندما رأيت الصك معه وأن اسمي مدون فيه.

ولكن السؤال الذي خطر على بالي من قبل عند اللقاء بقريبي الحاج لم أجد له إجابة أيضاً عند والدي.

وذكر والدي أنه زار المكتبة الملكية الكبيرة، ورأى أنساب العائلات الحسنية، وأن اسم عائلتنا مذكور فيه، وأنّه زار أضرحة قبور السادة من أفراد عائلتنا في مدينة "سلا" في الرباط، وزار منازل العائلة القديمة والآثار المرتبطة بالسادة الأدارسة.

ولكن بقي السؤال مطروحاً، ولم أجد له جواباً لفترة من الزمن!

بداية الانطلاق نحو البحث:

تابعتُ دراستي، ومضت ثلاثة أعوام درستُ فيها الدراسة الأكاديمية، ومن ثم حصلتُ على شهادة معهد متوسط للكهرباء بصفة مساعد مهندس، وفي إحدى جولاتي في "دمشق" صادف أن وقع نظري على كتاب في إحدى واجهات المكتبات، وهو كتاب "النهاية في الفتن والملاحم" لابن كثير الدمشقي، فدخلتُ وسألت البائع وهو رجل متوسط في العمر، فقلتُ له: مامعنى الفتن والملاحم؟

فأجاب مبتسماً: إن هناك أموراً حدث عنها رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)ستحدث بعده إلى قيام الساعة، وأضاف البائع أن هذا الكتاب يعد من الكتب الموثقة والجيدة، والكاتب من المعروفين القدماء.

فسألته عن ثمن هذا الكتاب؟

فأخبرني بثمنه.

فتراجعت قليلا للوراء، لعدم امتلاكي من النقود ما يكفي لشرائه، حيث كنتُ في فترة لم أعمل بها، فتحيرتُ.

وعلم البائع بحيرتي، وأخبرني أنّه لا يمتلك من هذا الكتاب إلاّ

نسخة واحدة، قد يبيعها ولا يمكنني الحصول عليها إذا عدت إليه مرة أخرى.

فعدتُ إلى المنزل وأنا متضايق، لعدم قدرتي على شراء هذا الكتاب.

عمل يوم واحد لشراء الكتاب الذي أعجبني:

بعد مرور أسبوع على رؤيتي للكتاب طلبتُ من والدي أن يعطيني مالا لأشتري به ذلك الكتاب، ولكنه رفض، ليس لقضية المال، بل قال إنني يجب أن أهتم بشراء ملابس خاصة بي، أو بعض الأطعمة الخفيفة التي يفضلها الشبان، ولكنني أصررت على شراء ذلك الكتاب.

فذهبت إلى أحد أقربائي في دكانه الذي يعمل به وهو خاص للاصلاحات الكهربائية، فطرحت عليه فكرة العمل لديه، فقبل على أن أكون أجيراً طيب الخلق وأنفذ ما أؤمر به.

وفعلا بدأت ذلك اليوم من أوله إلى أن حان فرصة، وجاء زبون لإصلاح عطل كهربائي في منزله، فطلب قريبي ـ صاحب الدكان ـ مني الذهاب معه وقال: خذ الأجرة لك، فذهبت وأنجزت المهمة مع طول مدتها، وفوراً بدأت أحسب ما سآخذه وما سأدفعة، فأخذت من الزبون ما يعادل نصف ثمن الكتاب أجرة، وعدتُ إلى الدكان على أمل أن يعود زبون أخر أذهب معه فآخذ منه ما يعادل النصف

الثاني من ثمن الكتاب، ولكن دون جدوى، فتململت وبدت علي الحيرة، وأحس قريبي أن أمراً ما يشغلني، فسألني، وأجبته أنني بحاجة إلى باقي ثمن الكتاب، فابتسم وقال: إن اليوم هو الخميس، والمتعارف عليه أن يتم تصفية أجور العاملين عند أصحاب المحلاّت في مثل هذا اليوم من كل أسبوع، ثم قال: سأدفع لك أُجرة نصف اليوم الذي عملته عندي، مع العلم أنه قد لا يحرز المبلغ، فابتسمتُ له وقلت: مهما يكن قد يساعد في حل مشكلتي، وبالفعل كان المبلغ الذي أعطاني إياه هو ما يعادل النصف الثاني من ثمن الكتاب، وقد كانت سعادتي بالغة لذلك.

فأخذت النقود، ومن ثم بدأت بتجهيز نفسي للخروج للّحاق بالمكتبة حتى أدفع ثمن الكتاب، وقلتُ لمعلمي أنني أود الخروج، فسمح لي مع بعض التردد، لأنّني لم أستنفذ الوقت كاملا، فقلت له: علي الذهاب إلى الشام لشراء الكتاب قبل أن تقفل المكتبة، فسمح لي، وهرعت إلى الحافلة التي تنقل الناس من البلدة إلى مركز المدينة، ووصلت إلى المكان المحدد في الوقت الأخير، ولكن المفاجأة أنني لم أجد الكتاب فقد نفذ، وقال لي البائع: لقد تأخرت، فعادت لي حالة الاكتئاب، لكنه وعدني أنه قد يستطيع أن يوفره لي فيما بعد، فقلت له: أنت لا تعلم ماذا فعلت للحصول على ثمن الكتاب.

وخرجتُ من عنده مهموماً، وعدت إلى البلدة، وصادفت أحد الجيران لنا في الحي ومعه كتاب أدبي لغوي.

فسألته: من أين حصلت على هذا الكتاب؟

فقال لي: أنه هنالك مكتبة جديدة تم افتتاحها في البلد، وقد اشتريت هذا الكتاب منها، فسألته عن مكانها؟

فقال: ربما تكون مغلقة الآن فالوقت تأخر، وغداً نذهب معاً إليها لأعرفك على مكانها.

فقلت له: غداً الجمعة ولن تفتح.

فقال لي: بل ستفتح، لأنها جديدة.

فقبلت منه ذلك، وبالفعل ذهبنا في اليوم الثاني، ودخلت إليها وسلّمت على صاحبها وأنا أنظر إلى مجاميع الكتب لعلّي أجد ضالّتي، وكانت المفاجأة أنني وجدتُ ذلك الكتاب فيها، ففرحت بذلك واشتريت منها الكتاب.

قراءة يوم وليلة وتبلور تساؤلات جديدة:

أخذتُ الكتاب وانصرفتُ إلى المنزل، وكانت فرحتي غامرة، حيث أنني كنت لأول مرة أشتري كتاباً إسلامياً يحتوي على عدد من أحاديث رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)، فقد كنت بالسابق أقرأ قصصاً وروايات تُعنى بالقضايا البوليسية والأمور الصناعية، ثم راجعت الفهرس الخاص بالكتاب لأنتقي منه الأحاديث الهامة، وما كان يشغلني ذلك

الوقت وضع الإنسان يوم الحشر وما يجري عليه، وصفة أهل الجنة وصفة أهل النار.

فبدأتُ بأول الفهرس وإذا بي أتوقف أمام عنوان شدني إليه، وهو إشارة نبوية إلى أن إثني عشر خليفة من قريش سيلون أمر الأمة الإسلامية، وفجأة بدأتُ أحسب عدد الخلفاء قبل أن أتوجه إلى الصفحة المشار إليها، وقلت: إن الخلفاء أربعة هم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي (عليه السلام)، فكيف يكونون إثني عشر خليفة؟! فعدتُ وجمعت الخلفاء إلى دولة بني أمية، فظهر لي أنهم أكثر من العدد المذكور! وتفحصت أسماء خلفاء بني العباس وجمعتهم ولم أجد مصداقاً للعدد المذكور، فقلت في نفسي: ما هذا اللغز المحير؟ علي أن أسأل خبيراً في هذا المجال، لكن علي أن أقرأ الحديث لعلي أجد مبتغاي، وفتحت الصفحة المطلوبة وأنقل لكم ماقرأته حرفياً تتميماً للفائدة "ثبت في الصحيحين من رواية عبدالملك بن عمير عن جابر عن الرسول الأكرم (صلى ا عليه وآله وسلم) لا يزال هذا الدين عزيزاً أو قائماً حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش، قالوا: ثم يكون ماذا، قال: ثم يكون الفرج" وهؤلاء المبشّر بهم في الحديث ليسوا الاثني عشر الذين زعم فيهم الروافض (١).

---

(١) ما بين المعقوفتين نقل حرفي من كتاب النهاية، وراجع: صحيح البخاري، كتاب الأحكام: ٩٢، ومسلم: كتاب الامارة.

هذا كلّه قول ابن كثير في كتابه النهاية.

ولا أخفي عليكم استوقفتني آخر جملة في الحديث، وهي وجود دلالة ما على أن هناك إثني عشر خليفة عند الروافض، فسألت نفسي من هم هؤلاء الذين دعوا بهذا الاسم؟ وما هو قولهم في الخلفاء الاثني عشر؟!

حاولت البحث عن حديث آخر يساعدني على حلّ اللغز لكن دون جدوى، واصلت قراءتي لكتاب ابن كثير يوماً كاملاً لم أخرج من المنزل، فقرأت نصف الكتاب تقريباً، ولولا التعب لبقيت حتى الصباح، لكنني أردت إعطاء نفسي قسطاً من الراحة، ناوياً إتمام القراءة غداً.

بعد إنهاء بعض الأعمال في اليوم الثاني توجهت إلى أحد أقربائي وهو شيخ العائلة كما يقال، ويدعى بالشيخ "أبو فيصل" (١)..

وطرحت عليه السؤال التالي: من هم الاثنا عشر خليفة المنصوص عليهم حسب الحديث؟

فأجابني: إن الخلفاء هم الأربعة الراشدون، والحسن بن علي (عليه السلام)، وعمر بن عبد العزيز من الدولة الأموية.

فقلت له: هؤلاء ستة فأين البقية؟!

---

(١) خطيب جمعة، وله قصائد مدح، وله فترة طويلة بالخطابة المنبرية، وقد حاورته مراراً، وستأتي لاحقاً محاوراتي معه.

فقال لي: لم يظهروا بعد مع اختلاف أن هناك من أتمهم إلى الرقم المطلوب.

فقلت له: هل الأمر مزاجي أضع من أحب وأحجب من لا أحب؟!

فقال: الثابت عندي أنهم ستة، وهم ما عددتهم لك!

فقلت: من أين ثبت لك هذا؟

فأجاب: أحيلك إلى صحيح البخاري ومسلم ستجد فيهما الشرح الوافي.

فطرحت عليه سؤالا آخر: من هم الروافض، ومن هم الاثنا عشر خليفة الذين يستندون إليهم؟

وعندها التفت إلي وقال: هذا الأمر لا علاقة لي به، وأرجو أن لا تخوض في هذه الأمور، وهذا الحديث مدسوس!!

عندها أيقنت بأن أسئلتي لم تجد إجابة شافية، وربما سيأتي يوماً أجد لها إجابة.

بعدما زرت قريبي الشيخ عدتُ إلى المنزل لأكمل قراءتي في الكتاب، ودامت قراءتي ليلة كاملة، كلّ ما أدخل في موضوع أجد نفسي في بحر من التساؤلات.

اندفاعي لمعرفة الشيعة والتشيع:

في أحد الأيام زارني صديق كنت قد تعرفت عليه أثناء دراستي في المعهد الصناعي، وتبلورت بيننا علاقة طيبة إلاّ أننا افترقنا بعد حصولنا على الشهادة، وجاء ليعيد الود القديم، فرحبت به، لكن بدا عليه أنه ابتعد عن الحياة العملية المهنية، قلت في نفسي: لعلّه عاد لإكمال الدراسة.

وقال لي: إنّه كان قريباً من منزلي في زيارة لأحد المشايخ في منطقتنا وسأل عن مكان المنزل لأنّه مرت فترة طويلة جداً لم يزرني فيها.

فقلت له: من هذا الشيخ الذي زرته، لعلّي أعرفه؟

قال: الشيخ عبدا ، علوشي (١).

فقلت له: نعم عرفته، وله أقوال جيدة، مع العلم أنني لم أزره، ولكن نقل لي بعض آرائه.

تناولنا الشاي، وقلت في قرارة نفسي: سأعرض عليه سؤالا

---

(١) خطيب ومدرس في المعاهد الشرعية في دمشق في منطقة (دوما).

حول الشيعة لأرى ما هو رأيه فيهم.

ولكن ما إن طرحت عليه السؤال حتى بدا عليه التوتر، وكأنه أرادني أن لا أسأله.

فقلت: ما بالك؟!

قال: ما لنا وما للشيعة، هم في واد ونحن في واد آخر، إياك أن تسألني عنهم مرة أخرى!

قلت: لماذا؟

قال: هؤلاء خارجون عن الجماعة والسنة وهم كذا وكذا (١)...!!

قلت له: إنّهم ينطقون بالشهادتين، ويصلّون، ويصومون، ويحجون إلى بيت ا الحرام.

فقال لي: صلاتهم غير صلاتنا، وصومهم غير صومنا، حتى أنهم بالشهادة يزيدون فيها.

فقلت: هل هذا صحيح، أم أنك متوتر من أمر معين؟

فقال لي: أروي لك حديثاً عن رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم): أن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة، وأن أمتي ستفترق على ثلاث وسبعين فرقه، كلّها في النار إلاّ واحدة، قيل ما هي؟ قال من لزم الجماعة.

---

(١) كان يقصد أنهم يعبدون التربة والعياذ با ولا يصلّون كما نصلّي ولا يعترفون بالصحابة.

قلت له: مهلك، من أين جئت بهذا الحديث؟

قال: حدثنا عنه الشيخ اليوم الذي كنتُ بزيارته قبل المجيء إليك، والذي يقيم بجوارك تقريباً، وهو نقله لنا من أحد الكتب المعتبرة، وقد عدد لنا بعض هذه الفرق، وقال: إن الموجودين في إيران هم من هذه الفرق.

فقلت له: إن لدي كتاباً يحوي بعض أحاديث الرسول (صلى ا عليه وآله وسلم)، وأخرجت الكتب من خزانتي، وفتحت الكتاب المنشود، وإذا بي أرى نفس الحديث الذي ذكره لي مع فارق بسيط، وهو عندما سئل رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)عن هذه الفرقة، قال: ما أنا عليه وأصحابي (١)، فأردفت قائلاً له: إن الأمر يحتاج إلى التوقف عنده والتبيان عنه، خاصة وأن الحديث موجود فعلاً في العديد من الصحاح، لذا يجب علي سؤال خبير في هذا الشأن.

فقال لي: إن الأمر لا يحتـاج إلى السؤال، الحديث موجود وكـفى.

قلت له: بل يجب البحث عنه، وسأذهب إلى أحد المشايخ وأسـأله عن هذا الحديث وصحته، وإذا كان يوجد شي أخر أستفيد منه.

---

(١) النهاية لابن كثير، نقلاً عن البخاري وابن ماجة.

البحث حول الفرق الإسلامية:

بعد أن ودعني صديقي وذهب على أمل اللقاء ثانية، قررت الذهاب إلى قريبي الشيخ الذي سبق وأن سألته بعض الأسئلة في المرة السابقة، ولكن كان علي إنهاء بعض الأمور المهمة قبلها.

تابعتُ بعض الأُمور الملحة في عدة أيام، ولكن خطرت في بالي بعض الأسئلة، منها لماذا يقف البعض بعنف ضد الشيعة؟ وهل هذا العداء وليد هذا العصر أم أنه قديم وقد اشتد الآن؟!

حضرت نفسي، ورتبتُ الأسئلة التي سأسألها من الشيخ، وتوجهتُ إليه، وبعد السلام..

قال لي: أراك عدت ثانية، ترى زيارة أم لديك أسئلة؟

قلت له: الأمران معاً.

فابتسم قائلا: أهلا وسهلا، ولكن أرجو أن لا تكون من نفس الأسئلة التي سألتها المدة الماضية.

فأطرقتُ رأسي، وقلت: نفس الموضوع تقريباً.

فقال لي: تفضل اسأل!

فرويت له الحديث السابق وما جرى بيني وبين صديقي.

فقال: الحديث صحيح، ألم أطلب منك مراجعة صحيح البخاري وأخذ الإجابات الشافية منه.

فأجبته: وهل صحيح البخاري هو استنادي لكلّ شيء، ألا يوجد غيره؟!

فقال غاضباً: انتبه! ولا تسيء الأدب، إن البخاري أصح الكتب بعد القرآن الكريم، وهو ثمرة جهود عالم أفنى عمره في تأليفه وتجهيزه، ثم إنك مالك ولهذه الأمور والأحاديث، عليك أن تبحث عن شيء آخر تنشغل به!

فقلت له: هل الدين والبحث عنه من الأمور التي ينبغي الابتعاد عنها؟!

قال: يكفيك أن تعرف الصلاة والصوم وبعض الأمور الأخرى، وأما الأمور الخلافية فاتركها لأهلها!

لم أجد نتيجة من كلامه هذا سوى أنّه حاول أن يبعدني عن هذه البحوث، لماذا؟ لا أدري! ولكنه قال لي: أنصحك أن تقرأ كتاب الملل والنحل لمؤلّفه الشهرستاني، وستعلم أن الفرقة الناجية هم أهل الجماعة والصحابة.

خرجت من عند الشيخ، وذهبت على الفور باتجاه السيارات لقصد الذهاب إلى "دمشق" والبحث عن هذا الكتاب، وعندما وصلتُ إلى المكتبة نظرت إلى رفوف الكتب علّني أجده.

فسألني صاحب المكتبة: ماتريد؟

قلت له: أبحث عن كتاب يتحدث عن الملل والنحل.

فقال لي: هو موجود عندي في المستودع، فنادى على العامل لديه وطلب إحضار الكتاب لي.

فاشتريت الكتاب منه، وعدتُ أدراجي إلى المنزل وبدأت بتصفحه، وهو عبارة عن مجلّدين، ووجدت نفسي أمام كم هائل من أسماء الفرق لم أسمع بها من قبل، وقلت في نفسي: إذا أردت أن أقرأ وأفهم ما في هذا الكتاب فعلي إذن أن أتفرغ شهراً أو أكثر، لأستطيع أن أميز بين الفرق، ومع وجود التعصب التقليدي لدي طرحت الكتاب جانباً، وقلت: ما قاله الشيخ صحيح وكفى، يجب علي أن لا أخوض في هذا الأمر، لأنني سأجد نفسي غارقاً في بحر من التناقضات والاستفسارات التي تحتاج إلى شرح، ولا أجد رجلا يفيدني ويساعدني على ذلك.

فانشغلت بعدها في أمور عديدة، إلى أن جاءت فرصة، أعادتني مرة اُخرى إلى دائرة البحث، ولكن وجدت فيها الكثير من أجاباتي، وقلت: إن هذا توفيق من ا عزوجلّ.

زيارة عمل ومفاجأة لم تكن بالحسبان:

في بداية النصف الثاني من عقد الثمانينات حضر إلى منزلي ابن عم لي، وقال لي: إن أحد الأشخاص لديه بناء جديد وبحاجة إلى ورشة كهرباء إنارة للعمل في بنائه المؤلّف من عدة طبقات.

رحبت بالفكرة، وخاصة أنني بدأت أفكر بمشروع زواج مبكر، لكوني وحيد لأسرتي، فلا أخ لي ولا أخت، ورغبة والدي بالزواج حتى يفرحوا بي ويروا أولادي قبل وفاتهم، أمد ا في عمرهما، وطبعاً المنزل بحاجة إلى امرأة شابة تهتم بشؤونه.

اتفقت مع ابن عمي مساءاً، وذهبنا إلى هذا الرجل لإبرام الاتفاق معه، وبعد الوصول إليه والتعرف عليه، دعاني إلى الطابق العلوي واعتذر ابن عمي لعدم بقائه لكونه تأخر عن موعد له، وصعدت مع الرجل إلى المنزل الآخر، ودخلنا إلى غرفة كان يجلس بها سابقاً قبل أن أحضر إليه، وطلب مني الجلوس، وكان في الغرفة شابان جالسان حول المدفأة التي تعمل على الحطب، وحولهما بعض الكتب المتفرقة هنا وهناك، ثم قام الرجل بتقديم الشاي لي قائلا: إن المشروب الساخن سيعوض حرارة الجسم والجو بارد، حيث كان فصل شتاء هذا العام بارداً وقارساً، فشكرته على ذلك وبدأنا نتحدث عن تفاصيل العمل.

قال لي: إن لدي ثلاث شقق بحاجة إلى إنارة بشكل كامل وبأسرع وقت ممكن، فتباحثنا كثيراً حول كيفية الاتفاق بيننا، دون فائدة، لأننا لم نتفق على وضع أجرة مناسبة، فاستأذنت منه طالباً الخروج.

فقال لي: إذا لم يكن هناك شيء يشغلك فبإمكانك البقاء، لإكمال

السهرة معنا.

الحقيقة أقول: إنني عندما رأيت الكتب منثورة في الغرفة تحرك لدي دافع الفضول وتمنيت لو أعرف ما بداخلها، وفعلا تمنيت لو أنه يدعوني للبقاء معهم، وهذا ما كان، ووافقت على ذلك.

قلت له: صراحة أنني لا أريد أن أثقل عليكم، وخاصه أنكم تجلسون جلسة عائلية.

فضحك الرجل وقال: وهل تظن أن هؤلاء أبنائي ـ يعني الشبان ـ صحيح أن فارق السن واضح بيننا، لكنهم أصدقائي، الأخ أبو حسن يدرس في الثانوية، وناجي زميله.

ثم تكلّم الرجل بعد أن جلست مرة أخرى..

وسأل الشاب: هل قرأت الكتاب الذي أخذته المرة السابقة؟

قال الشاب: نعم قرأته، ولكن لم أنته منه.

سأله الرجل: ماذا وجدت به وماهو انطباعك عنه؟

قال الشاب: إنّا كنا عن هذا غافلين.

ابتسم الرجل قائلا: هل اقتنعت بكلامي السابق؟

الشاب: لو أنني لم أرجع إلى المصدر لما اقتنعت!

قال الرجل: ماهو المصدر الذي عدت إليه؟

قال الشاب وكأنه آسف: صحيح البخاري، وما أدراك ما صحيح البخاري!

خاطب الرجل الشاب الثاني قائلا: يبدو أن صاحبك أبا حسن قد توصل إلى نتيجة!!

ابتسم ناجي وقال: أكيد، من يفتح عقله يتوصل إلى نتيجة، ويجد إجابة على تساؤلاته.

الرجل: إن أمتنا للأسف عاشت ألفاً وأربعمائة عام في ظل أجواء دمرت عقول الناس وسلبت منهم قدرة التفكير بحرية.

كتاب البداية والنهاية ومواصلة الحوار:

مضى على وجودي ثلاث ساعات ونصف تقريباً، والنقاش بينهم مستمر..

إلى أن سألني الرجل قائلا: ألا تشاركنا في الحوار.

قلت له: حقيقةً إنني مندهش لنقاشكم ومستغرب!

الرجل: وما سبب اندهاشك أو استغرابك؟

قلت له: لم أتوقع أن أجد هكذا حواراً، ومستغرب لقول أبي حسن عن صحيح البخاري، فبعلمي أنه لا يعترض عليه اثنان، فكيف يقول هذا الكلام عليه؟!

الرجل: أما قولك أنه لم يعترض عليه اثنان فمعلوماتك ناقصة، وأما كلامه على البخاري فهو نابع عن صدمة نفسية جراء ماوجده في البخاري!

قلت له: مهلاً، أراك تقول البخاري، ولا تسبقه بكلمه صحيح، فهذا حرام!

الرجل: وما أدراك أنه صحيح، لا صحيح إلاّ القـرآن الكريم فقط، وكلّ ما عداه يطرح على مائدة النقاش والتمحيص، هـل

قرأت البخاري وغيره؟!

قلت له: صحت البخاري وجود أحاديث النبي الأكرم (صلى ا عليه وآله وسلم) وهو أكبر دليل، أما قراءتي له فأنا لم أقرأه ولم أقرأ غيره من الصحاح الباقية، سوى أنني حصلت منذ مدة على كتاب النهاية لابن كثير، ووجدت فيه بعض الأحاديث ولي تساؤلات عليها وكتاب آخر.

الرجل: ألم تقرأ السيرة النبوية العطرة لأحد المؤلّفين؟

قلت له: لا وللأسف، سوى ما درسناه في المدرسة وما سمعناه في مجالس العلم من بعض المشايخ.

الرجل: هذه مشكلتنا، أننا انشغلنا بالحياة الدنيا وزخرفها، ونسينا أموراً هامة كثيرة، وأن ما يدرس في مناهج الدراسة لايعد كافياً لمعرفة السيرة، وقد يكون مختلقاً ومغايراً لما في أمهات الكتب المعتبرة.

سألت الرجل: هل ما أخذناه في كتب الدراسة شيء آخر عما هو موجود في كتب السير.

الرجل: إن ما أخذته شيء، والموجود شيء، والسيرة الصحيحة شيء آخر، هل تحب القراءة والمطالعة؟!

أجبته: نعم، ولدي إحساس غريب يدفعني لأن أتعرف على المزيد، لكن لا أعرف السبيل إلى ذلك، ولا أعرف من أين أبدأ وإلى أين أتجه.

سألني أبو عبدو: هل سبق وأن قرأت السيرة النبوية العطرة كاملة، وماجرى بعدها، كالخلافة الراشدية والأموية وماحدث من مجريات الأمور فيها؟!

أجبت: لا أعرف شيئاً كاملا سوى ما درسته في مناهج الدراسة وبعض الأحاديث المتفرقة.

أبو عبدو: ألا تعرف قضية مقتل الإمام علي (عليه السلام) وأبنائه الحسن والحسين (عليهما السلام)؟!

قلت: الحقيقه معلوماتي ضئيلة بخصوص هذا الموضوع.

التفت الرجل إلى الشابين مختلس النظر إلي: أترون، هذا مثال لما جرى من ضروب التعتيم والتضليل؟!

وتوجه أبو عبدو إلي مخاطباً وهو يمد يده إلى أحد الكتب الموجودة في الغرفة قائلا: سأعطيك هذا الكتاب لتقرأه، وأرجو أن تتريث في القراءة وتستوعب مافيه من الروايات التاريخية، وهو في مجلد من عدة مجلدات اسمه البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي، وربما تجد فيه أجوبة الأسئلة التي تدور في ذهنك، أو تجد فيه ما ينفعك.

قلت: إنّي على علم بوجود هذا الكتاب الباحث لقضايا التاريخ، ولكن ثمن شـرائه كثير، فلم أسـتطع اقتناءه، وأعدك بقـراءته بتمعن، وإذا وجدت أمراً يصعب تفهمه أو تفسيره أعود لمناقشتك

به، ثم استأذنت منه لأنصرف، فتقدم الرجل وصافحني مع ضيوفه ورافقـني إلى خـارج المنـزل طالباً أن أبحث حـول هذا الأمر بجدية.

مصيبة أهل البيت دفعتني للبكاء:

في طريقي للمنزل تبادر هذا السؤال إلى ذهني: لماذا هذا الاصرار من أبي عبدو على معرفتي للسيرة النبوية، هل أراد أن يبين لي مدى تقصيري اتجاه ديني، أم هناك شيء ما أجهله؟! شعور مابدأ يساورني أنني سوف أجد فائدة من علاقتي مع هذا الرجل، صحيح أني خسرت فرصة عمل، ولكن سأربح شيئاً أفضل.

وقلّبت الكتاب بين يدي، وإذا بي أجد أنه المجلد الرابع، توقفت وقلت في نفسي: لعلّه أخطأ إذ كان عليه اعطائي المجلد الأول، وأردت العودة إليه، ولكن تأملت في الساعة، فوجدت أن الوقت متأخر ولا ينبغي طرق بابه الآن، تابعت سيري وأفكاري تتأرجح، وعندما وصلت إلى المنزل دفعني الفضول إلى قراءة الكتاب مع أنني كنت مرهقاً ومتعباً جداً، ولكن قلت في نفسي: أقرأ فترة قصيرة من الوقت وأترك الباقي للغد.

وكان أول موضوع في الكتاب هو خلافة الإمام علي (عليه السلام)، وبدأت بالقراءة، نبذة من نسبه الشريف وكيفية مبايعة الناس له بالخلافة، وحرب الجمل والتي ذهلت فيها لوجود عائشه زوجة رسول

ا (صلى ا عليه وآله وسلم)، وطلحة والزبير في مواجهة الامام (عليه السلام)!

مضى الوقت الذي افترضته، وكل ما كنت أدخل في موضوع أجد أنني بحاجه لمتابعة أكثر، وعند مقتل الإمام (عليه السلام) استوقفتني الحادثة، ولم أتخيل أن استشهاده (عليه السلام)تم بهذا الشكل الفجيع.

تجاوزت الساعة الثالثة صباحاً وازداد تعبي وإرهاقي، وغفوت على سريري وبيدي الكتاب، ولم أشعر إلاّ ووالدتي (رحمها ا) توقظني لصلاة الصبح.

وبعد تناولي الفطور عدت للقراءة، وطالعت قضية الإمام الحسن (عليه السلام) وصلحه الذي وجدته لمصلحة الأمة جمعاء، ونقض معاوية للصلح، وكيفية المؤامرات التي حيكت ضد الإمام والغموض الذي لفّها، إلى أن وصلت إلى حوادث سنة ٦٠هـ، وبدأت حالة من الغضب تنتابني، كيف يحدث هذا الأمر؟! لماذا يستباح دم الإمام الحسين (عليه السلام)ودم أبنائه؟! ولم تسبى نساؤه وحرماته؟! ولم يسيرون إلى الشام بهذه الطريقة؟! كيف يدعوه أهل الكوفة ثم ينكثون العهد معه؟! هل حب الامارة والرياسة طغى على الدين والإنسانية، بل حتى على التشريع الإلهي؟!

أخذ الألم ينهش قلبي وروحي تارة، والخجل تارة اُخرى، لماجرى في تلك الفترة، وأعدت قراءة مقتل الإمام الحسين (عليه السلام)، فأجهشت بالبكاء... أبكي بحرارة كبكاء طفل فقد أمه أو أباه، هذا ما

حدث معي، فشعرت بعدها بحالة اليقظة، وبكيت وصرخت بصوت عال، لماذا الشيء يحدث؟ هل هؤلاء بشر؟ هل هم مسلمون؟ لا بل ظالمون فويل لكم يامن اتخذتم الاسلام لفظائعكم ستاراً، لم أستطع إكمال الكتاب، فالحالة أصبحت صعبة لدي، ولم أدرِ ما أقول، بل كيف جاءني هذا الاحساس والبكاء فجأة دون سابقة لي، انتظرت حتى المساء لكي أذهب للقاء أبي عبدو، وعندما التقينا طرحت فوراً اسئلتي عليه:

قلت: هل حقاً هذا الذي جرى في تلك الحقبة التاريخية؟ ولماذا وكيف؟ ورويت له مامر معي من قضايا، وهو يستمع دون أن يقاطعني.

فقلت له: لماذا لا تجيبني، أخبرني؟

قال أبو عبدو: أرجو أن تهدأ قليلا، إن ما ذكر قطرة مما جرى في تلك الحقبة من التاريخ!

قلت: قل لي با عليك كيف ينسبون إلى الاسلام هؤلاء القوم؟ كيف يفعلون هذا؟! كيف تكون هذه المأساة في تاريخنا الاسلامي ولاعلم لنا بها؟!

أبو عبدو: إن الحوادث في تلك الفترة دلّت على أن تبديلاً للصفة الإسلامية والشريعة المحمدية جرت على أيدي الحكام بالصفة الجاهلية والقبلية، ولهذا خرج الإمام الحسين (عليه السلام) بنفسه وأولاده

وأصحابه مضحياً في سبيل أمة جده المصطفى (صلى ا عليه وآله وسلم)، ولإعادتها إلى طريق الرشاد والحفاظ عليها من الانحلال والفساد.

فبعد وفاة رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) واجتماع السقيفة تخلخلت هيكلية الدولة الاسلامية، حيث أن المصطفى (صلى ا عليه وآله وسلم)قبل أن يلتحق بالرفيق الأعلى حدد معالم الدولة الإسلامية، ونصب خليفته على القوم، وأمر الناس بموالاته وطاعته.

لكنهم وللأسف ضربوا بأقواله وأوامره عرض الحائط، وبنوا لأنفسهم هيكلية جديدة وفق أسس وضعوها وفق بدعة: (لا تجتمع النبوة والخلافة في بني هاشم)، وتخلف عن ذاك الاجتماع اُناس كانوا أحق بهذا الأمر لعدة أسباب، واستولى على الحكم رجال اعترفوا فيما بعد بخطئهم.

وبدأ بإحالتي إلى بعض المصادر والمراجع للبحث فيها، وحدد لي رؤوس أقلام تبين المنهج الواجب علي اتباعه للبحث والتقصي في التاريخ.

اختلطت الأفكار وتبعثرت أوراق رؤيتي للإسلام، وبدأتُ أشكك في مصداقية الخلافة، غير أن العامل التقليدي الذي ولدنا عليه منعني إلى حدما من الخوض في الحديث.

إلى أن بادر الرجل بتقديم كتاب مختصر صحيح البخاري إلي، وطلب مني قراءة الأحاديث، وأشار إلى أنه توجد أحاديث

مدسوسة وإسرائيليات، وأحاديث منافية للخلق الاسلامي والعرف الشرعي، وروايات تحطّ من عصمة الأنبياء (عليهم السلام)والرسول الأعظم (صلى ا عليه وآله وسلم)، ولابد من التمعن فيها وإحكام العقل وتطبيق الحديث على النص القرآني والأخلاق الكريمة للمصطفى (صلى ا عليه وآله وسلم).

ووافقت على ذلك، ضرورة الإلمام بأمور ديني والاحاطة بكلّ شيء.

الحطّ من شأن الأنبياء (عليهم السلام) في صحيح البخاري:

كنت أتصور أن الشيخ الذي نتلقّى منه الوعظ والإرشاد في الدروس الدينية وأيام الجمعة ـ هذا الإنسان الواعي المثقف أكثر من العامة ـ حاملاً لمبادئ إسلامية صحيحة وسامية لا تشوبها شائبة، ينطق بصدق ويقتدي بأسلافه، ولكن بعد قراءتي لمختصر الصحيح وتخريج بعض الأحاديث، التي لا يقبلها القرآن الكريم والشرع الحنيف ولا العرف الاجتماعي الإسلامي، لكونها تمس الرسول الأعظم (صلى ا عليه وآله وسلم)، ورأيت أن هذا الشيخ أو الخطيب إما مغرر به أو مضلّ وضالّ، يقرأ شيئاً ويتحدث بشيء آخر، فهذه الأحاديث جعلت النبي (صلى ا عليه وآله وسلم) فرداً عادياً له نزوات وشهوات! يخطئ في كثير من الأحيان وتنزل آيات تؤنبه.

فرفضت هذه الروايات، لاعتقادي أن النبي (صلى ا عليه وآله وسلم)أسمى من ذلك الذي يقولونه وهو الصادق الأمين، بل أنه على خلق عظيم جاء ليهذب الإنسانية، هذا النبي الأكرم (صلى ا عليه وآله وسلم) هو ترجمان القرآن الكريم والأمر الالهي، فكيف ينزل القرآن بشيء ويفعل النبي شيئاً مغايراً؟ وإذا نسبنا الخطأ للنبي (صلى ا عليه وآله وسلم)، فهذا يؤدي إلى التشكيك بمصداقية

الدعوة، (والعياذ با).

فبحثت عن معنى العصمة، واخترت كتاب محمد بن أبي بكر الرازي، وبحثت عن كلمة العصمة لأتبين معناها، واسم الكتاب (مختار الصحاح) (١):

فالعصمة من المنع والحفظ، واعتصم با أي امتنع بلطفه من المعصية، وقوله تعالى: (لاَ عاصم الْيوم من َأمرِ ا ِ) (٢).

وصحت بصوت عال: يا الهي!! إنهم بهذه الأحاديث ينفون العصمة عن النبي (صلى ا عليه وآله وسلم)وينسبون له المعصية.

ثم بحثت في الأحاديث، فوجدت أن العصمة وضعت في أفراد هم أقل قدراً ورفعة من رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)، (ويلٌ يومِئذ ِللْمكَذبِين) (٣).

وقمت باستقراض بعض المال من أحد الأصدقاء واشتريت مجموعة صحيح البخاري كاملة، المتن والشرح، وقرأته، وإذا بي أجد أنبياء ا (عليهم السلام) قد أخطأوا: منهم من عصى، ومنهم من قتل، ومنهم من كذب، وحتى أن أحدهم حاول فعل الفاحشة (والعياذ با حاشا الأنبياء فعل ذلك).

---

(١) الصحاح: ١٩٨٦/٥.

(٢) هود: ٤٣.

(٣) المرسلات: ١٧ و ١٩.

بينما وجدت الصحابة يعتكفون في صوامع للعبادة، ويركعون الآف الركعات يومياً، ومهما فعلوا فذنبهم مغفور، وعملهم مأجور، وبشروا بالجنة، ولربما يدخلون من يشاءون معهم إلى الجنة، حتى الأنبياء ربما، من يعلم فلهم سر وبركة!!

عندما وجدت هذه التناقضات في الأحاديث، رأيت أن من المناسب الرجوع إلى مختص بهذا الأمر، وحسب تفكيري أنه ممكن أي شيخ موجود بالمنطقة خطيب ويلقي دروساً عقائدية وإسلامية في المسجد أن يجيبني على تساؤلاتي.

حوار مع شيخ منطقتنا حول البخاري:

توجهت إلى أحد المشايخ في منطقتنا، وهو "الشيخ عبدا علوش" خطيب ومدرس في إحدى المعاهد الشرعية، وحملت بين يدي مجلد من مجموعة البخاري، كنت قد أشرت فيه على بعض الأحاديث، دخلت المسجد وسلّمت على الحاضرين فلم يجبني أحد سوى شاب كان يجلس في آخر الحلقة الملتفة حول الشيخ، والجميع كانوا من أصحاب اللحى الطويلة باستثنائي أنا، والشاب الذي أحسست أنهم متغافلون عنه، بدأت أستمع للدرس الذي يلقيه الشيخ، وكان حول تفسير سورة "ألم نشرح".

فقال الشيخ: يقول المفسرون: إن النبي (صلى ا عليه وآله وسلم) عندما كان في البادية

عند مرضعته حليمة السعدية إذ جاءه شخصان وطرحاه أرضاً على ظهره، ثم شقا بطنه واستخرجا حظ الشيطان منه، ثم أخاطا الجرح وذهبا.

صدقاً أنني لم استسغ الرواية، لأنني أحسست أن بها شيئاً لا يقبله العقل، فوقفت على الفور طالباً السؤال، وسمح لي الشيخ بعد طلبي الملح بالسؤال.

قال الشيخ عبدا : مالك يابني هل تريد السؤال عن شيء؟

قلت: هل هذه الرواية موجودة في غير كتب التفسير التي ذكرتها؟

الشيخ عبدا : نعم، هذه القصة مذكورة في كتب السير، مثل سيرة ابن هشام وغيرها.

قلت: وسند هذه الرواية هل هو صحيح؟!

الشيخ عبدا : نعم، وهل تشكك بقول العلماء القدامى الذين هم أفضل مني ومنك؟!

قلت: هناك أحاديث لا يقبلها العقل، وهذه الرواية يبدو أنّها من جملة تلك الأحاديث.

قال الشيخ: عليك أن تستمع فقط، وإذا وجدت شيئاً عليك السؤال للاستفسار، ثم يبدو أنك تجهل أموراً كثيرة.

قلت: نعم، وللأسف يبدو أنني أجهل حقيقة ديني والدعوة

المحمدية، ثم كيف علي الاستماع فقط دون أن أسأل وأقدم وجهة نظري!، هل هو كأس ماء علي شربه دون أن أعرف ما طبيعة الماء فيه!! أم هو حشو أفكار فقط، وعلينا التصديق والتسليم، كيف أقبل أن استمع لرواية لا أجد فيها إلاّ طعناً بالنبي (صلى ا عليه وآله وسلم) وخلقه، ثم أنكم تحدثون هذه القصة، ثم بعد ذلك تقولون إن الشيطان اعترض رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)في صلاته، أو أنه نسي آية من القرآن تذكّرها عندما سمع أحد القارئين لها، كيف ذلك؟!

الشيخ عبدا : هذه أفكار مغلوطة، ويبدو أن أحداً ما نقل لك أحاديث ملفقة وسمم أفكارك بها، فاحذر يا بني.

نظرت إلى الحاضرين، ثم التفت إليه وقلت له: مارأيك بصحيح البخاري فضيلة الشيخ؟!

الشيخ عبدا : لقد قال النووي في كتابه التقريب: "إن أول مصنف في الصحيح المجرد: هو صحيح البخاري، ثم صحيح مسلم، وهما أصح الكتب بعد القرآن، والبخاري أصح كتاب وأكثر فائدة" (١).

ويقول أحدهم: إذا قرىء صحيح البخاري في بيت ثلاثة أيام حفظ أهله من الطاعون، وأنه ما قرئ في سفينة إلاّ حفظت من الغرق، ولا مجال للطعن فيه، لأن أحدهم رأى النبي (صلى ا عليه وآله وسلم) في نومه، وقال

---

(١) التقريب للنووي: ٢.

له (صلى ا عليه وآله وسلم): أبلغ محمد بن إسماعيل (أي البخاري) مني السلام، وذلك في عصر البخاري.

قلت: إن هذه الأفكار التي ذكرتها من البخاري والأفكار التي طرحتها أنا أيضا نقلتها من البخاري، وها هو معي جزء منه، وتقدمت ووضعته أمامه..

وقلت له: هل قرأت صحيح البخاري كاملا؟

الشيخ عبدا : نعم، أنا ماوصلت لهذه المرحله إلاّ وقرأت الصحاح كلّها مع السير.

قلت: لم تمر معك رواية سباق الجري بين النبي (صلى ا عليه وآله وسلم) وزوجته تاركين الجيش يسير وحيداً؟ ولم يأتك بالحديث أن المغنيات يغنين أمام النبي (صلى ا عليه وآله وسلم) وزوجته السيدة عائشه (رض)؟ ألم؟! ألم؟! طرحت الأحاديث عليه.

ضج الحاضرون وقالوا: هل هذا معقول ما يرويه؟! هل صحيح ما يقوله هذا الشاب؟

نهض الشيخ من كرسيه وقال للحاضرين: اهدأوا، إن هذا الشاب يحمل أفكاراً مسمومة، فيها رائحة الفتنة، وربما أنه التقى بهؤلاء الشيعة!

فقلت لأحد الشبان الجالسين: أرجو أن تفتح مجلد باب النكاح، واقرأ حديث الربيع بنت معوذ بن عفراء..

وبدأ الشاب يقرأ..

قلت له: اقرأ بصوت عال حتى يسمع الجميع: "جاء النبي (صلى ا عليه وآله وسلم)فدخل حين بني علي فجلس على فراشي وجعلت جويريات لنا يضربن بالدف ويندبن من قتل من آبائي يوم بدر، وقالت إحداهن: وفينا نبي يعلم مافي غد".

وقلت للحاضرين: ما رأيكم بهذا الحديث، هل يستسيغ عقلكم أن يحضر النبي (صلى ا عليه وآله وسلم)حفلة زفاف وغناء؟! فهل يعقل هذا؟! هل تفعلون أنتم ذلك؟!

قال الشاب: لا نفعل، لا يجوز الاختلاط بنساء أجنبيات!

قلت: كيف إذن ينسبون للنبي (صلى ا عليه وآله وسلم) ذلك؟!

يافضيلة الشيخ إذا كانت أفكاري مسمومة بردي على هذه الأحاديث، فهو نابع على حرصي على كرامة النبي (صلى ا عليه وآله وسلم)، وكيف لا أرضى ذلك على نفسي وأرضاه للنبي (صلى ا عليه وآله وسلم).

وأما الفتنة فهي السكوت على أحاديث باطلة شرعاً وعرفاً.

وأما ماذكرته أنني ألتقي مع الشيعة، فأنا لم ألتق مع أحد منهم، وإذا كان هذا رأيهم مثلي فإننا نتفق على رد هذه الأحاديث الضعيفة الباطلة.

رفعت كتابي من أمام الحاضرين، وبدأ الشيخ ينظر إلي غاضباً والحضور واجم لا يعلمون مايقولون، وخرجت من المسجد، ثم

تبعني الشاب الذي قرأ الحديث..

وسألني: هل أنت تقطن في هذه المنطقة؟!

قلت له: نعم، وأعطيته عنواني، ثم ذهبت إلى أبي عبدو، وذكرت له ماجرى..

وسألته: هل الشيعة يذهبون إلى هذا الرأي؟

قال: نعم، وهل تحب أن تطّلع على أفكارهم؟

قلت له: ياحبذا ذلك، فأعطاني كتاب المراجعات لسماحة السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي (قدس سره) لأقرأه وأتعرف بنفسي على أفكار الشيعة.

متابعة البحث حول صحيح البخاري:

بدأ الناس يكيلون لي التهم، فمنهم من قال: إنه تشيع وترفض، فأخذت أسأل بعض المشايخ وألوذ بالمثقفين، والكل يحذّرني من الانجراف وراء الأفكار المسمومة، فذهبت يوماً إلى أحد أصدقاء والدي، وهو الحاج "أبو أحمد الشريف" وكان ملماً ببعض قضايا الدين، وكان مدرساً في كلية التاريخ، لكنه لم يواصل التدريس في الكلية بسبب ظروف مالية حالت دون متابعته الدراسة، وقد نوه لي والدي مراراً أنه ربما يساعدني في حلّ كثير من الأمور والتساؤلات العالقة بذهني، فقمت بزيارته صباحاً، وسر كثيراً برؤيتي، ثم دقق النظر في حالي فعرف أنني جئته لأمر ما..

فبادرني بالسؤال قائلا: يبدو أن أمراً ما تريد طلبه، هل والدك بخير وهل يريد شيئاً مني؟

قلت: إن والدي بخير والحمد   ويبلّغك تحياته وهو نصحني بزيارتك.

أبو أحمد: يبدو أن لديك أمراً مهماً، وأنا أعلم أن والدك عندما يتضايق يرسل في طلبي أو يزورني.

قلت: لدي استفسارات أود أن أطرح عليك بعضها، وبحكم معرفتي أنك مطلع على كثير من القضايا الإسلامية ولك تجربة في الحياة.

أبو أحمد: تفضل قل مالديك، وأرجو أن أستطيع مساعدتك يابني.

قلت: ما رأيك بصحيح البخاري، أو بالصحاح أجمعها؟

أبو أحمد: صحيح البخاري يا بني هو من الكتب المعتبرة، ومسلم يعد من تلامذة البخاري، واستقلّ بنفسه وأخرج كتاباً سماه صحيح مسلم على غرار صحيح البخاري، وقد توجد أحاديث عند مسلم ولا توجد عند البخاري، وأصحاب باقي الصحاح هم تلامذة للشيخين (أي مسلم والبخاري) وأول من جمع الأحاديث ورتبها حسب الأبواب مثلا باب الصلاة وكتاب الايمان وغير ذلك.

قلت: عفواً عم أبو أحمد، أنا ما سألت كيف انتهج الأسلوب في

تأليف الكتاب، بل أردت بيان قيمته المعنوية.

أصرح لك: أنني وجدت أحاديث كثيرة منافية للعقل بحيث لا يتحملها أحد.

أبو أحمد: إياك يا بني أن تخوض في هذه المسائل، لأنّها تؤدي بالنهاية إلى الكفر والعياذ با ، وموضوع بحث الأحاديث له أهله، وهناك علماء ودكاترة مختصون بالبحث ومناقشه الأحاديث.

قلت: عم أبو أحمد، هل الدين وبحث الأحاديث النبوية حكراً للدكاترة والأساتذة والعلماء؟! هل الدكتور أو العالم له ميزة خاصة عن باقي الناس؟! هل يوحى إليه ـ والعياذ با ـ أنه سيحصل على شهادة دكتوراه أو مرتبة عالم؟ أم أنه تلقى العلم ودرس وسأل حتى حصل على هذه المرتبة.

أبو أحمد: يبدو أنك متحامل كثيراً على أصحاب الشهادات والعلماء.

قلت: أليس من حقي أن أسأل عن أمور ديني وأتعلّم الأحاديث النبوية وأن اقرأ الكتب الإسلامية؟ ألست مسلماً يجب أن يتعرف على أمور دينه؟!

أبو أحمد: رويدك.. رويدك، يا بني، من حقك أن تسأل وتعرف وتقرأ الكتب، لكن قل لي: ألا تصلّي وتصوم وتزكي، وقبل كل ذلك تؤمن با وحده لا شريك له وتؤمن بالملائكة والأنبياء والرسل

وبالجنة والنار، وتقوم بفريضة الحج إذا استطعت ذلك، عليك أن تبحث من خلال هذه الأمور فقط.

قلت: وهل الإسلام فقط صلاة وصوم وزكاة وحج؟! واعتقادي أن هناك أموراً أساسية يجب على المسلم معرفتها!

وأحسست أنني لم أجد جواباً لاستفساري الأول، فقطعت الحديث وتناولت فنجان القهوة الذي أعده لي أبو أحمد.

وعدت وسألته: عم أبو أحمد، مارأيك بالشيعة؟ وأين أستطيع أن أجد لهم كتباً أتعرف من خلالها على أفكارهم؟

نهض العم أبو أحمد من مكانه بسرعة كأنه صعق بماس كهربائي، أو أن إحدى الزواحف قد لدغته وصاح في وجهي: يا باسل، ما لنا وللرافضةّ، ما لنا ولهؤلاء الناس، لعن ا   من أيقظ الفتنة.

وفجأة طُرقت باب منزله فبادر أبو أحمد وفتح الباب ورحب بضيفه، وكان الضيف أحد جيران العم أبي أحمد، وهما متشاركان بالعمر.

فعرف العم أحدنا على الآخر، ثم بادر الضيف بإخراج كتاب من حقيبته..

وقال للعم أبي أحمد: تفضل، ابني اشترى كتاباً لأحد مؤلّفي الشيعة، وقد تجادلت كثيراً معه حول شرائه لهذا الكتاب، وما الداعي لشرائه، ولكن دون فائدة، فأخذته منه لأعرضه عليك لنرى ما الحلّ

لنبعد الولد عن قراءة هذه الكتب.

قال العم أبو أحمد: أعطني أياه، آه! هذا الكتاب المختلق، دائماً يوزعونه، ويبيعونه بسعر قليل حتى يجذبوا الشباب إليهم، ولكن إلى متى، أنّا لهم بالمرصاد، وهذه المراجعات كلّها قصص مختلقة.

نظرت خلسة إلى الكتاب، فوجدت اسمه فعلاً المراجعات، وتذكرت أن أبا عبدو أعارني أياه ولكن لم أقرأه..

وقلت في نفسي: إنني لن أقول للعم أبي أحمد أن لدي نسخة من هذا الكتاب حتى لا يصب جام غضبه علي.

ثم قال العم أبو أحمد لضيفه: هذا الشاب أيضا يسأل عن الشيعة، ويبدو أنه سيتأثر بهم، ولكنني سأبعده عنهم..

ولكن قل لي: من أين حصل ابنك على هذا الكتاب، على حد علمي أن مكتباتنا لا تبيع مثل هذه الكتب.

أجاب الضيف: بالأول سألته ـ يعني ولده ـ فلم يجبني، وعندما أظهرت له غضبي، قال: إنّه ذهب مع صديقه إلى منطقة السيدة زينب (عليها السلام) وهناك اشتراه من إحدى مكتبات الشيعة.

تعلّق في ذهني اسم المنطقة، وقررت الذهاب إلى هناك لأطّلع على كتبهم، وبعد لحظات نهضت من مكاني وطلبت الإذن بالانصراف.

فقال العم لي: تمهل لي حديث معك.

قلت: لقد أطلت الجلوس عندك، ولدي بعض الأمور يجب إنجازها.

أبو أحمد: يا بني نصيحتي لك: إحذر الاقتراب من الشيعة، إن عمري تجاوز الخمسين ولي نظرة بالأحداث، فإياك ثم إياك الاستماع إلى أقاويل هؤلاء الشيعة، فإنهم يحرفون الأحاديث.

قلت: أقبل نصيحتك، ومايشاء ا يفعل فلا اعتراض على أمره، والسلام عليكم.

قراءتي لكتاب المراجعات:

عدتُ إلى المنزل، وأول ما فعلته أنني فتحت كتاب المراجعات وقرأت المقدمة وبداية المناظرة، فهالني دقة الألفاظ وسحر المعاني والجمل المترابطة وأدب الحوار بين المتناظرين، وتابعت القراءة، وكلما طالعت أكثر وجدت قوة أدلة السيد ومتانة حججه وضعف الشيخ البشري، وأخذت أنظر إلى الهوامش كي أرى المصادر التي اعتمد عليها السيد (قدس سره) في مناظرته، فتفاجأت من كون كلّها من مصادر أهل السنة!

قلت في نفسي: إنه يرتكز على أرضية صلبة في حواره مع الشيخ، والشيخ أحياناً يوافقه بالقول على دلالة المصادر ووثوقها، فأخذت بتسجيل المصادر الهامة لأبحث عنها فيما بعد، وعندما وصلت إلى الربع قبل الأخير من الكتاب وتحديداً صفحة (٢٥٧)، وكانت المراجعة تحت رقم (٨٦)، وهي رد من السيد (قدس سره)على الشيخ البشري حول سؤاله الموارد التي لم يتعبد بها الصحابة بالنص، وكان جواب السيد رزية الخميس.

وإليكم نص المراجعة والعبارة التي أذهلتني:

"الموارد التي لم يتعبدوا فيها بالنص أكثر من أن تحصى، وحسبك منها رزية يوم الخميس، فإنها أشهر القضايا وأكبر الرزايا، وأخرجها أصحاب الصحاح، وسائر أهل السنن، ونقلها أهل السير والأخبار كافة، ويكفيك منها ما أخرجه البخاري بسنده إلى عبيدا ابن عبدا بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس: قال: لما حضر رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال النبي (صلى ا عليه وآله وسلم): هلم أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده، فقال عمر: إن النبي (صلى ا عليه وآله وسلم) قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن حسبنا كتاب ا ، فاختلف من في البيت فاختصموا، منهم من يقول: قربوا يكتب لكم النبي كتاباً لا تضلّوا بعده، ومنهم من يقول ماقاله عمر، فلما أكثروا اللغط والاختلاف عند النبي، قال لهم رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم): قوموا عني، فكان ابن عباس يقول: الرزية كل الرزية ما حال بين رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)، وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب (١).

وقد نقله أصحاب السنن وتصرفوا فيه، لأن لفظه الثابت: أن النبي يهجر، لكنهم ذكروا كلمة غلبه الوجع تهذيباً للعبارة (٢).

---

(١) المراجعات: ٤٥٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المرضى، باب قول المريض قوموا عني: ١٠/٤ (٥٦٦٩).

لم أتمالك نفسي وصحت عمر... عمر... غير معقول، وفجأة بدأت مخيلتى تستذكر الأقوال التي قيلت في عمر وأحاديث فضائله، وتذكرتُ أنه مدفون بقرب قبر الرسول الأعظم (صلى ا عليه وآله وسلم)، كل هذه الأمور تسلسلت في ذهني وأنا مذهول أمام هذه العبارة..

وقلت: يجب أن أبحث عن هذه الرواية هل حقاً موجودة في البخاري؟

وقلت: مادام بعض أجزاء الصحيح موجودة عندي فسوف أنتهز الفرصة، ولكن في الصباح إن شاء ا أكملها بعد عودتي من المدينة.

قصد الذهاب إلى منطقة السيدة زينب (عليها السلام):

في الصباح قررت الذهاب مع والدي لشراء بعض الحاجيات من مدينة دمشق، وبالفعل وصلنا إلى مركز المدينة، وقام والدي بشراء بعض الخضار، وقال لي: تعال لنستريح قليلا عند عمك "أبو علي" فهو قريب من هنا، وعمي أبو علي هذا له دكان صغير لبيع المضخات المائية في منطقة العمارة "بدمشق"، وتسوقنا للخضار كان من سوق الهال القديم وهو قريب نسبياً للدكان، ودخلنا على العم "أبو علي" (ابن عم والدي) فرحب بنا كثيراً ثم طلب منّا الجلوس.

وأخذ أبي وابن عمه يتحدثان عن أمور المعيشة والحياة، في هذه الأثناء مرت من أمام المحل حافلة صغيرة مكتوب عليها لوحة (السيدة زينب)، فبرقت في بالي فكرة الذهاب إلى هناك، ولكن كيف؟

فقلت للعم "أبو علي": أرى سيارات السيدة زينب تمر من هنا، هل أصبح لهم موقف بجانبك؟

العم أبو علي: لا، هي سيارة عابرة، قد تكون في مهمة إيصال طلاب خاص.

طبعاً أنا أعلم أن سيارات السيدة زينب (عليها السلام) موجودة في منطقة باب المصلّى، ولكن لم أزرها أبداً لبعد المكان، ولم أكن أعلم أنها مركز تجمع للشيعة، ولكن العم "أبو علي" شجعني على الذهاب إليها..

قائلا: على كل حال هذه السيارات لها موقف في مكان قريب وبالتحديد خلف (القصر العدلي)، وأُجرة الذهاب إلى هناك عشر ليرات، والناس يذهبون لزيارة السيدة وقراءة الدعاء عندها.

قلت: وهل الناس تذهب للدعاء عند القبور، هل يجوز ذلك؟

العم أبو علي: نعم، فهي سيدة فاضلة والدعاء عندها بركة، ويورث راحة نفسية، وأما بالنسبة لي فأنا لم أزرها منذ عشر سنوات، ولكن إذا أردت الذهاب عليك الانتباه! فهناك ناس يختلفون عنا في الصلاة، ويقصدها الزوار من إيران والعراق وأفغانستان.

قلت لأبي: أود رؤية هذه المنطقة الآن، فهل تريد أن أوصلك إلى موقف سيارات "دوما"؟

قال أبي: كيف تذهب الآن إلى هناك وينبغي أن ننجز أعمالا كثيرة، دع هذا الأمر لمرة أخرى (خاطبني وهو متذمر).

قلت: طالما أنا بالشام ـ يعني أنني في نصف الطريق ـ ولن أتأخر، ثم وقفت واستأذنت بالانصراف، فرمقني أبي بنظرة حادة علّني

أنصرف، ولكنني أصررت عليه حتى أذن لي بذلك.

البحث عن المكتبات الشيعية:

حثثت السير إلى القصر العدلي، وسألت أين "سرفيس" السيدة زينب، فأشار إلي أحدهم قائلا: هذه السيارة الصفراء الكبيرة هناك تذهب لمنطقة السيدة زينب، فأسرعت الخطى إليها، ثم ركبت، وقلت للسائق: أرجو أن تنزلني في الشارع الذي فيه مكتبات الشيعة، فالتفت أحد الركاب إلي قائلا: الشارع الذي تمر به السيارة فيه الكثير من المكتبات فإذا وصلنا أنزلك أمام إحداهن.

وعند وصولنا أنزلني ذلك الشخص أمام مكتبة "السيدة رقية" هذا كان إسمها ويبدو أنها كانت حديثة، ولم تمر فترة طويلة على افتتاحها، نظرت إلى داخلها فلم أجد أحداً، وتبين أنها مغلقه، فمشيت وقلت في نفسي: ماهذا الحظ، أصل إلى هنا على أمل أن أجد مكتبة وإذا بها مغلقة، ولم أتجاوز سوى ستة محلات حتى رأيت مكتبة لها لافتة مكتوب علها "دار الحسنين (عليهما السلام)"، ففرحت وفتحت بابها، وحمدت ا تعالى أنها مفتوحة، فرحب بي صاحبها قائلا: تفضل على الرحب والسعة.

قلت: السلام عليكم ورحمة ا وبركاته، هل يمكنني الاطلاع على الكتب لديك.

صاحب المكتبة: وعليكم السلام والرحمة، طبعاً تفضل المحل محلك.

نظرت إلى الكتب وانبهرت لكثرتها، وجمال تجليدها، وبدأت أقرأ العناوين: "أضواء على السنة المحمدية" لمحمود أبورية، "الخدعة ـ رحلتي من السنة إلى الشيعة" لصالح الورداني، نظرت إلى الطرف الآخر وسيل العناوين ينهال علي وكلها تدفع بالمرء للفضول ومعرفة مافي بطونها، لكن عدت واخترت كتاب "أضواء على السنة المحمدية" لاهتمامي بمعرفة سنة رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)، وتوجهت إلى صاحب المكتبة..

قائلا: ما هذا الكتاب؟!

صاحب المكتبة: هذا الكتاب يعد من الكتب الهامة والتي تبحث في الأحاديث النبوية والصحاح عند إخواننا أهل السنة، ويناقش المؤلّف فيه بعض الاسرائيليات المدسوسة في السنة، ومؤلّفه مصري الجنسية.

قلت: هل المؤلّف شيعي أم سني، فأنا أبحث عن كتب تبين الفكر الشيعي.

صاحب المكتبة: هذا المؤلّف يطرح القضية بوجه عام، ولديه أفكار جيدة في مناقشة السنة النبوية، واختيارك له كان موفقاً.

قلت: هل يوجد كتّاب مصريين آخرين، أو حتى سوريين، فأنا

أجهل ذلك، كما أنني أرغب بالإطلاع على كتب مؤلّفة من قبل إيرانيين، ولكن للأسف لا أعرف اللغة الفارسية.

صاحب المكتبة: يوجد كتّاب مصريين، ويوجد ادي مؤلّف سوري له كتاب يناقش بعض المسائل الفقهية بين السنة والشيعة، والكتاب هو "القطوف الدانية في المسائل الثمانية" لمؤلفه السيد عبد المحسن السراوي.

قلت: أرجو أن تعطيني هذا الكتاب إذا سمحت، وهل هناك كتاب يبحث ويناقش الأحاديث النبوية غير كتاب (محمود أبو رية) وأرجو أن تعطيني إياه.

صاحب المكتبة: نعم هنالك كتاب "تأملات في الصحيحين" لمحمد صادق نجمي، وهو كتاب جيد أنا لم أقرأه، لكن أقول لك آراء العديد من الذين قرأوه، تفضل هذا هو.

قلت: شكراً لك، ممكن سؤال أخير إذا سمحت: ماهذا البناء الذي أمامك؟!

صاحب المكتبة: هذا البناء يتعلّق بالحوزة الزينبية العلمية، وهو ما يماثل معهد شريعة عند السنة، توجد لوحة على البناء يمكنك قراءتها.

طلبت معرفة ثمن الكتابين، وهما القطوف الدانية وأضواء على السنة المحمدية، دفعت له الثمن وانصرفت شاكراً له على مساعدته لي.

في مقام السيدة زينب (عليها السلام):

بعد خروجي من المكتبة توجهت إلى مقام السيدة زينب (عليها السلام)لرؤية الضريح عن قرب، ولأرى كيفية صلاة إخواني الشيعة، وعندما وصلت أمام الباب الخشبي الكبير رأيت الناس ينحنون احتراماً للسيدة ومكانتها، دخلت وأحسست بشعور الهيبة يلّف بي، وتابعت سيري ووقفت أمام الضريح والناس مشغولة بالدعاء أو البكاء أو الصلاة، لم أشعر بنفسي إلاّ وأنا أبكي!

تذكرت واقعة كربلاء وما جرى فيها، وتذكرت صمود السيدة زينب (عليها السلام) في هذه المأساة، ودون سابق معرفة بدأت أضرب على صدري، لم أعرف كيف فعلت ذلك، هل لأنني رأيت الآخرين يفعلون ذلك أمامي أم حالة نفسية دفعتني إلى ذلك! لقد أهابني المنظر في المقام.

ولفت نظري صلاة الأخوة هناك، ومع ذلك قلت: يجب علي أن أصلّي ركعتين وأهب ثوابها للسيدة (عليها السلام)، ثم دعوت وخرجت وقلت في نفسي: إن الصلاة لا تختلف بيننا وبينهم سوى أنهم يسجدون على التربة، وسوف أبحث حول هذا الموضوع مع "أبو عبدو" عندما ألتقي به، ثم ركبت سيارة العودة، وقلت: الآن سأجد والدي غاضباً علي لتركي إياه في المدينة، ولكن عندما يعلم أنني قد استفدت من هذه الزيارة سيطمئن ويهدأ.

مواصلة البحث بجدية:

عندما عدت إلى المنزل وبعد أن عاتبني والدي كثيراً، دخلت غرفتي وفتحت كتاب "القطوف الدانية" للسيد عبد المحسن السراوي وقرأت مقدمة المؤلّف، ولفت نظري أن التساؤلات التي تبادرت إلى ذهني وأنا في المقام أجد لها إجابة في هذا الكتاب، وشدني استدلال المؤلّف على بحثه من مصادر السنة، وفوجئت بأن هناك عدة مذاهب غير المذاهب الأربعة التي كنت أعرفها لأهل السنة والجماعة، وهذا المؤلّف يذكر رؤساءها: كالأوزاعي، وإسحاق، وداود، وعطاء، والزهري، وابن المبارك، والليث بن سعد، ومحمد بن الحسن الشيباني، وغيرهم.

هذه الأسماء لم أسمع بها من قبل سوى إشارات كانت في كتاب "الملل والنحل"، ورأيت المؤلّف يحاول جاهداً للتقريب بين وجهات النظر بين الطائفتين، ويوضح للقارىء أن المسائل التي يطرحها هي من صميم السنة المطهرة، فقرأت أكثر من نصف الكتاب، وخرجت طالباً لقاء "أبو عبدو"، وأخذت كتاب المراجعات كي أعيده إليه بعد أن قرأت أغلبه، وبدأت أفكر

بالأحاديث التي مرت معي وأنني حصلت على كتاب لمؤلّف سوري، و عندما وصلت، فتح الباب "أبو عبدو" واستقبلني ودخلنا إلى غرفة الاستقبال وبدأنا بالنقاش معه حول بعض المواضيع، ثم سألني إذا كان لدي رغبة بالتعرف على بعض الأخوة من الشيعة، فرحبت بذلك، و قال لي: غداً صباحاً تأتي هنا ثم نذهب سوية، طلبت الاذن بالانصراف و خرجت، و أذكر يومها كان ثاني أيام عيد الأضحى المبارك.

عدت إلى منزلي وأنا مسرور بالأمور الجديدة التي تعرفت عليها، ولما جن علي الليل غرقت بمراجعة كتاب القطوف الدانية، ثم بدأت بقراءة كتاب أضواء على السنة المحمدية، ووصلت إلى قسم "وضاع الحديث والمدلسين"، ثم "واضعوا الأحاديث الإسرائيلية وأسمائهم"، فاستغربت من صدور هذه الأفعال من أناس كنت أثق بكلامهم ثقة كاملة، بحيث كنّا عند ذكر أسمائهم نمسح بوجهنا للتبرك، ولم أسأل يوماً لماذا عندما يأتي ذكر هؤلاء نمسح بأيدنا على وجوهنا، يبدو أن هذه الحالة وليدة تقليد أعمى ورثناها من أسلافنا.

جاء الصباح وبعد إنهائي لفريضة الصلاة توجهت إلى منزل الأخ "أبو عبدو" ووجدته بانتظاري خارج المنزل، ثم ركبنا إحدى السيارات الناقلة وتوجهنا مباشرة إلى السيدة زينب (عليها السلام)، وفي

الطريق قلت له: البارحة نسيت أن أقول لك أنني حصلت على كتاب لمؤلّف سوري واسمه عبد المحسن السراوي، فابتسم الأخ "أبو عبدو"، ولم أفهم سبب ابتسامته.

ثم قلت له: لم تقل عند من سنذهب اليوم؟

قال: نذهب إلى بعض الأخوة الشيعة، سوف تتعرف عليهم هناك.

ووصلنا المكان المقصود ودخلنا في طريق طويل يتوسطه سوق لبيع الخضار ومحلات كثيرة، إلى أن أخذنا طريقاً جانباً إلى اليمين، ثم توقفنا وقرع الأخ "أبو عبدو" الباب فخرج إلينا بعد ثوان شاب صغير.

أبو عبدو: السلام عليكم، كلّ عام وأنتم بخير، هل السيد موجود؟

الشاب الصغير: وعليكم السلام، وأنتم بخير، نعم لحظة من فضلك.

ثم ذهب برهة، وإذا بصوت أتى من الأعلى تفضلوا، نظرت وإذا برجل متوسط بالعمر واضعاً كوفية مزركشة حمراء على رأسه، فلما وقع بصرنا عليه ابتسم، ورحب بنا، فدخلنا إلى المنزل وصعدنا الدرج واستقبلنا السيد، فصافحته وأحسست بعاطفة قوية نحوه كأنه قريب لي أو كأنني أعرفه فصافحته بحرارة، ثم دعانا للدخول إلى غرفة جانبية معدة للاستقبال، ولفت انتباهي كثرة الكتب الموجودة لديه، فقلت ماشاء ا (اللهم صل على محمد)، ثم جلسنا وأنا

مندهش لكثرة الكتب، وبدأ الأخ أبو عبدو يعرف بعضنا على بعض.

الأخ أبو عبدو: حضرة السيد أعرفك الأخ باسل الخضراء من الأخوة الفلسطينيين ويحمل جذوراً مغربية، ويتصل بالنسب إلى السيد إدريس بن الحسن.

السيد: أهلا وسهلا، صبحكم ا بالخير، كيف حالكم؟

الأخ أبو عبدو: أخ باسل أعرفك سماحة السيد عبد المحسن السراوي من أبناء الحسكة.

قلت مندهشاً: ا أكبر فعلتها بي يا أبو عبدو!!

ابتسم أبو عبدو قائلا: أردت أن تكون مفاجئة لك.

قال السيد: هل هناك شيء ما.

قلت: لقد ذكرت له أنني اشتريت كتاباً لأحد المؤلّفين السوريين وذكرت له اسمك، وقال: سمعت عنه، وأحسسني بأنه لا يعرفك!

السيد أبو حيدر: هو دائماً يحب المفاجآت.

الأخ أبوعبدو: الأخ باسل أبو محمد يريد أن يقدم لكم بعض الأسئلة، وهو من الشباب المثقف ويبحث عن السنة الصحيحة، وبحاجة لمن يعينه في هذا المجال.

السيد: نعم على الرحب والسعة تفضلوا.

قلت: مولاي أنتم تقولون أن مسح الأرجل في الوضوء هو

الأقوى عند الشيعة حسب آيه الوضوء (١).

السيد: عفواً نحن لسنا فقط الذين نقول بهذا الأمر، بل هناك مفسرون من أهل السنة قالوا هذا، مثل ابن كثير وحمزة وأبو عمر وعاصم، قد قالوا بالجر، ومنهم من قال بالنصب.

فأقول: إن القراءة بالجر تبين أن الأرجل معطوفة على الرؤوس، فكما وجب المسح في الرأس فكذلك في الرجل، وبقراءة النصب توجب المسح أيضاً، وذلك لأن قوله تعالى: (وامسحوا بِرؤُوسكُم)فرؤوسكم في محل النصب ولكنها مجرورة بالباء، فإذا عطفنا الأرجل على الرؤوس جاز في الأرجل النصب على محل الرؤوس، والجر معطوف على الظاهر، فوجب أن يكون عامل النصب في قوله تعالى: (وَأرجلَكُم) هو قوله تعالى: (وامسحوا)فيثبت أن قراءة: (وَأرجلَكُم) بنصب اللام توجب المسح.

ونحن نأخذ بأفعال رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) ونعتبرها من السنة، وإليك هذه الرواية: عن عبادة بن تميم، عن أبيه قال: "رأيت رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)يتوضأ ويمسح على رجليه" (٢).

ثم بدأ السيد يذكر لي أحاديثه مسندة ويحيلني إلى مظانها من

---

(١) (يا أَيها الذين آمنُواْ إِذَا قُمتُم إِلَى الصلاة فاغْسلُوا وجوهكُم وَأيديكُم إِلَى الْمرافق وامسحوا بِرؤُوسكُم وَأرجلَكُم إِلَى الْكَعبين) المائدة: ٦.

(٢) مجمع الزوائد للهيثمي: ٢٢٤/١.

مصادر أهل السنة حتى أوثق الأحاديث.

صلاتكم غير صلاتنا:

قلت: سيدي عندما زرت السيدة (عليها السلام) منذ مدة وجدت أن صلاتكم غير صلاتنا، فأنتم تصلّون على التربة وهذا ما أثار حفيظتي بعض الشيء، كما أنكم حسب معلوماتي تصلّون فرضين سوية، أرجو أن توضحوا لي سبب ذلك، جزاكم ا خيراً.

السيد: كيف تصلّي أنت يا أخي؟

قلت: أصلّي على السجادة، وهذا معروف في البيت أو في المسجد.

السيد: وصلاتك للسجادة أم سبحانه؟

قلت: إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي رب العالمين.

السيد: نحن أيضاً صلاتنا عز وجلّ، وسجودنا يكون على التراب اقتداءاً برسول ا والصحابة الكرام.

قلت: أنت تقول إنكم تقتدون برسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) والصحابه وكيف ذلك؟

السيد: لقد أجمع المسلمون على جواز السجود على الأرض، وما أنبتت من غير المأكول والملبوس كالحصير وورق الشجر والقرطاس، والمتأخرون من أهل السنة أجازوا السجود على القطن والكتان والشعر والصوف، ومذهب أهل البيت (عليهم السلام) لا يجوز السجود

إلاّ على الأرض وما أنبتته مما لا يؤكل ولا يلبس من قطن وكتان، والروايات التي تقول على الأرض كثيرة، فمنها:

حديث خباب بن الأرت قال: "شكونا إلى رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) من شدة الرمضاء في جباهنا وأنفنا فلم يشكنا" (١).

وحديث ابن عباس (رضي ا عنه): "أن النبي (صلى ا عليه وآله وسلم) سجد على الحجر" (٢).

وحديث أنس بن مالك "كنا نصلّي مع رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)، في شدة الحر، فيأخذ أحدنا الحصباء في يده، فإذا برد وضعه وسجد عليه" (٣).

وإذا أردت الوضوح أكثر ارجع إلى كتابنا (القطوف الدانية) (٤) أو إلى الصحاح الستة فسترى أحاديث أكثر تتناول هذا الموضوع.

قلت: شكراً لك لقد أوضحت لي هذه المسألة، ولكن موضوع الجمع ألا ترى أن العلماء أجمعوا فقط على الجمع بعرفة وقت الظهر والعصر، كما أنهم أجازوا الجمع في المزدلفة وقت العشاء بين فرضي المغرب والعشاء؟

ثم التفت السيد إلى "أبو عبدو" قائلا: يمكنك المشاركة إذا

---

(١) البيهقي في سننه: ١٥١/٢ (٢٦٥٧)، وسنده جيد وصحيح.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك: ٣٤/٢ (١٧٧٥)، وقال: صحيح.

(٣) مسند أبي يعلي: ١٧٨/٧ (٤١٥٦).

(٤) القطوف الدانية: المسألة الخامسة، السجود على الأرض.

أردت، فنحن لا نمانع لدينا إذا أحببت أن تبين رأيك.

الأخ أبو عبدو: أعلمك أخي "أبو محمد" أن من أهل السنة أو بالأحرى علماء بعض المذاهب السنية جوزوا الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء تقديماً وتأخيراً بعذر السفر، كمالك والشافعي وأحمد بن حنبل، أما أبو حنيفة فمنع ذلك وقال: لا يجوز الجمع بين الصلاتين مطلقاً، والإمام أحمد يوافق مالك في جواز الجمع بين الصلاتين أو العشاءين فقط لعذر المطر، لا بين الظهر والعصر.

السيد: لكن لا تنسوا أن جماعة ذهبوا إلى جواز الجمع في الحضر للحاجة لمن لا يتخذه عادة، وهو قول ابن سيرين وأشهب من أصحاب مالك والخطابي والقفال هؤلاء من علماء أهل السنة (١).

قلت: لكن ماهو رأي مذهب أهل البيت (عليهم السلام) بذلك؟

السيد: يستدل أئمه أهل البيت (عليهم السلام) بآيات كريمة وأحاديث نبوية على جواز الجمع من غير عذر ولا خوف، منها هذه الآيه الكريمة: (أَقِمِ الصلاَةَ لِدلُوك الشمسِ إِلَى غَسق الليل وقُرآن الْفَجرِ إِن قُرآن الْفَجرِ كَان مشْهوداً) (٢)، وقد ذكر المفسر الفخر الرازي: الغسق هو ظهور الظلمة، وعبارة عن أول المغرب، فعلى هذا يكون ثلاثة

---

(١) شرح مسلم للنووي: ٢١٩/٥، باب جواز الجميع بين الصلاتين في السفر.

(٢) الاسراء: ٧٨.

أوقات: وقت الزوال، ووقت المغرب، ووقت الفجر، فوقت الزوال يشترك فيه الظهر والعصر يعني تشترك فيه الصلاتان، وأول المغرب يعد وقتا للمغرب والعشاء فيكون هذا الوقت مشتركاً بين هاتين الصلاتين والفجر وقت واحد لوحده (١).

أما بالنسبة للحديث فقد أخرج مسلم في باب الجمع بين الصلاتين في الحضر، عن ابن عباس (رضي ا عنه) قال: "صلى رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)الظهر والعصر جميعاً، والمغرب والعشاء جميعاً من غير خوف ولا سفر" (٢)، كما قال ابن عباس: "صلّيت مع النبي (صلى ا عليه وآله وسلم) ثمانياً جميعاً، وسبعاً جميعاً" (٣)، كما قال: "إن رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) صلّى بالمدينة سبعاً وثمانياً، الظهر والعصر والمغرب والعشاء" (٤).

وفي حديث لوكيع قال: قلت لابن عباس: لماذا فعل ذلك؟ قال: كيلا يحرج أمته" (٥).

وعلى كلّ إذا أردت التوسع فأنصحك بالرجوع إلى شرح الموطأ

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي (سورة الاسراء آية ٧٨): المسألة الرابعة.

(٢) صحيح مسلم: ٤١٠/١ (٧٠٥).

(٣) صحيح مسلم: ٤١٢/١ (٧٠٥).

(٤) صحيح مسلم: ٤١٢/١ (٧٠٥).

(٥) صحيح مسلم: ٤١١/١ (٧٠٥).

للزرقاني (١) وسنن أبي داود (٢).

قلت: شكراً لك ياسيدي، لقد بينت لي حجة بالغة ودليلا قاطعاً لا يقبل الشك، ومع هذا سوف أقوم بمراجعة المصادر التي ذكرتها، فجزاك الله كلّ خير، كما أرجو أن لا أكون قد أتعبتك بكثرة الأسئلة.

السيد: لا بأس، وأنا مستعد تماماً لأن نبحث معاً هذه الأمور الدينية، ونحن نتمثل بقول سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)للإمام علي في وصيته له: "ياعلي لئن يهدي الله بك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس"، ولكن لي تعقيب صغير لك وتوضيح.

قلت: تفضل مولاي، فكلّي آذان صاغية، أستفيد من آرائكم.

السيد: لقد ذكرت عند دخولك إلى الغرفة الصلاة على سيدنا ناقصة وبتراء، فأرجو أن تقبل النصيحة.

قلت: إن هذا ماتعلمناه، وإذا كان هناك أمراً بحاجة إلى توضيح فلا بأس مشكورين.

السيد: عندما نزلت آية: (إِن اللهَ وملاَئِكَتَه يصلون علَى النبِي يا أَيها الذين آمنُوا صلوا علَيه وسلموا تَسليماً) (٣) قالوا لرسول

---

(١) شرح الزرقاني على موطأ مالك: ٤١٨/١.

(٢) سنن أبي داود، باب الجمع بين الصلاتين: ٤٤٨/١.

(٣) الأحزاب: ٥٦.

ا (صلى ا عليه وآله وسلم): أما الصلاة فقد عرفناها ولكن ماهو التسليم؟ قال: أن تقولوا: اللهم صلّ على محمد وآل محمد، ولا تصلّوا علي الصلاة البتراء، فسألنا النبي (صلى ا عليه وآله وسلم) وما هي البتراء؟ قال (صلى ا عليه وآله وسلم): اللهم صل على محمد وتقفوا، يجب أن تقولوها كاملة: اللهم صل على محمد وآل محمد، وهذا الحديث موجود في الصحاح وفي كتاب الصواعق المحرقة لابن حجر العسقلاني (١).

قلت: شكراً لك سيدي على الايضاح.

ثم قلت لأبي عبدو: أرى أن لا نأخذ وقت السيد أكثر من هذا.

فقبل أبو عبدو، وطلبنا الإذن بالانصراف، فأعطاني السيد الكريم رقم هاتفه، ثم خرجنا بعد توديعه، ثم شكرت الأخ أبو عبدو على مفاجئته السارة، وبينت له أنني استفدت جداً من هذه الزيارة، وأظن أنها ستتكرر لاحقاً.

فقال لي الأخ أبو عبدو: إن هذا السيد عالم، وستستفيد منه كثيراً إن شاء ا تعالى، وأرجو أن تدعو لي دائماً.

وصلنا إلى البلدة، وكلّ منّا ذهب إلى منزله واتفقنا على تبادل

---

(١) صحيح البخاري، باب أن ا وملائكته يصلّون على النبي: ١٨٠٣/٤ (٤٥١٩)، صحيح مسلم، باب الصلاة على النبي (صلى ا عليه وآله وسلم): ٢٥٥/١ (٤٠٥ ـ ٤٠٦)، الصواعق المحرقة لابن حجر: ٤٢٩/٢ في الآيات الوارده فيهم.

الزيارات، ثم أخذت أفكر في أمر أمة الرسول (صلى ا عليه وآله وسلم) كيف أن رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) ترك لهم نصوصاً كثيرة ليتعبدوا بها، ولكنهم اختلفوا من بعده.

أنهيت بعض أعمالي المهنية، ثم أخذت بقراءة بعض المصادر التي استعرتها من أحد الأصدقاء، وتذكرت بعض الأحاديث الأخرى، وارتأيت أن أقوم بزيارة الدكتور البوطي في حلقة درسه، ولكن لا أعلم مكانها، فطلبت من أحد أبناء جيراننا أن يدلّني على مكان درس الدكتور بما أنه يحضر درسه أكثر الأحيان.

زيارة الدكتور البوطي:

توجهت في أحد أيام الاثنين من الشهر نفسه إلى جامع "الايمان" حيث يلقي الدكتور البوطي درسه هناك بعد صلاة المغرب، ودخلت إلى الجامع ورأيت الناس مكتظة وجلست، لكن لم أشاهد الدكتور، وفجأة حضر الدكتور وبدأ الشبان بالتراكض لمسك يده وتقبيلها والسلام عليه، وأنا جالس أتأمل المنظر، ثم جلس الدكتور خلف المنضدة التي وضعت لأجله، وبدأ بالحديث، وعنون محاضرته: "هل الإنسان مخير أم مسير؟".

طبعاً أنا بدأت أرسم هيكل الأسئلة في مخيلتي وكيف سأطرحها عليه، واستغرقت بترتيب الأفكار ونظراتي لم تغب عن الحاضرين والدكتور، حتى أن جاء أحد الأخوة بجانبي وطلب مني استعارة القلم الذي بحوزتي، فقلت له: تفضل، وتبعته بنظراتي لأرى ماسيفعل به، وإذا به يكتب على قطعة ورقة شيئاً ويسلمها إلى الشخص الذي أمامه، وبالتالي وصلت إلى أحد الجالسين أمام الدكتور فوضعها على المنضدة، فأخذت القلم من الشاب وطلبت منه بالمقابل قطعة ورق لنفس الغرض، فأعطاني ورقة، فشكرته، وكتبت عليها

السؤالين التاليين:

السؤال الأول: فضيلة الدكتور، لماذا في محاضراتكم لا تذكرون أو تخصصون حلقات لدراسة التاريخ الإسلامي؟ وإذا تحدثتم عن التاريخ تمرون مرور الكرام ولا تذكرون القضايا الهامة، بل حتى في كتبكم لا تكتبون شيئاً عنه، فالناس بحاجة إلى معرفة تاريخها والتعرف على ما جرى فيه من خطوب وأمور.

السؤال الثاني: هل ممكن أن تحدد لنا من هي الفرقة الناجية حسب قول رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) بدليل قاطع، وشكراً.

وطويت الورقة وسلّمتها للذي مقابل المنضدة وانتظرت الرد، فلحظة وصول الورقة إلى الدكتور كان قد أنهى محاضرته وأراد استلام الأوراق للرد عليها، فأخذ الورقة التي كتبتها من الشاب الجالس أمامه ظناً منه أنه صاحب الورقة، وفتحها وقرأها في نفسه..

ثم قال الدكتور: أرى أن أحد الأخوة طرح سؤالا خارج نطاق المحاضرة، ويجب أن لا نرد عليه، التزاماً بمنهجية الدرس والمحافظة على المعلومات التي طرحناها، حتى لا تتشابك الأفكار.

ثم قال: طيب لا بأس، بما أن أول ورقة نستلمها حتى نكون بمحضر حسن الظن.

فجهر بالسؤال الأول قائلاً: بالنسبة للتاريخ فهو واسع وسوف

يأخذ وقتاً طويلاً في سرده، وهناك أفاضل متخصصون بذلك ومع وجود عدد لا بأس به من الموسوعات التاريخية، أما الأمور الأخرى (تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُم) (١)، والخوض في الأمم السابقة لا يجدي نفعاً ولا ضرورة.

أما السؤال الثاني: فنحن لا نحدد الفرقة من هي، ولكن نقول: إن من حافظ على بيضة الاسلام ولم يوقظ الفتنة فهو من الفرقة الناجية، وبالتالي هي قول رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) ما أنا عليه وأصحابي ونرجو عدم الخوض أكثر من هذا في مثل هذه الأمور.

ثم أكمل قراءته وإجاباته للأسئلة ولم تطل كثيراً، وخرج الناس مودعين له بمثل ما أستقبل.

ولكنني لم أجد فيما قال ما يقنعني، وأحسست أنه تهرب من الجواب.

---

(١) البقرة: ١٣٤ و ١٤١.

في المكتبة الظاهرية:

حاولت جاهداً على توفير بعض المال لشراء بعض المصادر، ولكن منعني أمران وحالا دون شرائي للكتب، هو عدم وجود عمل ثابت وارتفاع أسعار الكتب، وكأن لسان حالها يقول: لا يمكن القراءة لذوي الدخل المحدود.

خطرت في بالي فكرة الذهاب إلى مكتبة عامة، ولكن أين؟ سألت ابن عمي حول هذا الأمر، فأعلمني أن هناك مكتبة عامة نفيسة يوجد بها العديد من الكتب والمخطوطات النادرة، وهي قديمة جداً وتوجد بها صالات للمطالعة وتقع قريبة من الجامع الأموي.

رتبت بعض أسماء المصادر وذهبت إليها، وسجلت أسمي في كشف المراجعين ودخلت إلى مسؤول المكتبة وأعلمته بطلبي: المستدرك للحاكم وسنن البيهقي.

ثم طلبت بعض أوارق بيض لتسجيل الملاحظات، وجلست في أحد أركان المكتبة وبدأت باستخراج أرقام الأحاديث التي ذكرها السيد لي، ووجدت حديثاً إضافياً في كتاب الحاكم، هو عن جابر بن عبدا الأنصاري: "قال: كنت أصلّي الظهر مع رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) فآخذ

بيدي قبضة من الحصى ليبرد في كفي أضعها لجبهتي أسجد عليها من شدة الحر" (١).

كما رأيت في كتاب الحاكم رواية عن السيدة أم سلمة (رض) قالت: "والذي أحلف به إن كان علي لأقرب الناس عهداً برسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)" (٢).

علّق الحاكم على هذا الحديث قائلاً: إنه صحيح الإسناد ولم يخرجاه (البخاري ومسلم).

"وقيل لابن عباس... أرأيت رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) توفي ورأسه في حجر أحد؟ قال: توفي وهو لمستند إلى صدر علي، فقلت: فإن عروة حدثني عن عائشة (رض) أنها قالت: توفي رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) بين سحري ونحري! فقال ابن عباس: أتعقل؟ وا لتوفي رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)وإنه لمستند إلى صدر علي وهو الذي غسله..." (٣).

قلت في نفسي: فكيف إذن العلماء يتحفوننا بأحاديثهم وأن رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)توفي على نحر وسحر السيدة عائشة، وأنه أوصى لأبيها؛ وآخرون ينقلون نفس الحديث ولكن لم يوص النبي لأبي بكر! ماهذا التناقض؟ لماذا تتضارب الأقوال، مع أن الحاكم يقول

(١) مستدرك الحاكم: ٣٠١/١ (٧٢١) باختلاف يسير، مسند أحمد: ٣٢٧/٣.

(٢) مستدرك الحاكم: ٣٤٩/٣ (٤٧٢٩)، مسند أحمد: ١٣٨/٣.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد: ٢٠٢/٢.

هذا الحديث صحيح الإسناد ولكن لم يخرجه الشيخان؟

سجلت هذه الأحاديث، وأخذت بعض الأحاديث من سنن البيهقي، وحديث ابن عمر قال: "مطرنا ذات ليلة فأصبحت الأرض مبتلة، فجعل الرجل يأتي بالحصى في ثوبه فيبسطه تحته، فلما قضى رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)الصلاة قال: ما أحسن هذا" (١).

انتهيت من نقل هذه الأحاديث ونهضت لتسليم الكتب إلى مسؤول المكتبة، فوجدت شاباً يعيد إليه كتاباً يبدو قديماً بعض الشيء، ونظرت إلى الشاب طويل القامة أسمر البشرة لحيته سوداء يشوبها بعض الشيب، وانطباعي الأول عنه أنه في الثلاثين من العمر، قلت له: ممكن أعرف عنوان الكتاب؟ قال لي: إنه ينابيع المودة للقندوزي الحنفي.

قلت: هل يتحدث هذا الكتاب عن المذهب الحنفي؟

الشاب: (مبتسماً): لا، إنه يتحدث في أمر أهم من المذهب الحنفي.

قلت: عفواً، أراك تبتسم من قولي، فهل هناك مايريب؟

الشاب: لا أبداً أنا آسف، ليس بالضرورة أن يكون اسمه حنفياً

---

(١) سنن أبي داود: ١/١٨٧ (٤٥٨)، سنن البيهقي: ٢/٦١٨ (٤٢١٣) باختلاف يسير.

يتبع المذهب الحنفي، ثم هذا الكتاب يتحدث عن بعض فضائل أهل البيت (عليهم السلام).

برقت عيناي عندما سمعت كلمة أهل البيت (عليهم السلام).

فقلت له: معنى ذلك أنه شيعي "أي المؤلّف".

الشاب: لا، فهو سني قد أخرج الأحاديث الخاصة المروية في فضائل الأئمة (عليهم السلام).

قلت: أتسمح لي أن أقوم بمطالعته.

الشاب: بعد إعادته إلى مسؤول المكتبة يمكنك طلب استعارته، ثم استأذن مني لينصرف.

قلت: لحظة من فضلك، هل تأتي إلى هنا دائماً، وممكن نتعرف على بعض إذا سمحت؟

الشاب: كنت أبحث عن بعض الأحاديث للتوثيق، وأنا أحضر إلى هنا كل يوم خميس تقريباً، واسمي عادل، ومسؤول المكتبة يعرفني، تربطنا قرابة فيما بيننا.

فعرفت نفسي له، وقلت له: هل أنت شيعي، فنظر إلي وابتسم، ثم انصرف بعد توديعي.

غريب هذا الشاب، لديه بعض الغموض، لم يفصح عن نفسه كثيراً، لعل يوماً من الأيام أراه مرة أخرى.

عدت وطلبت من المسؤول كتاب "ينابيع المودة".

فقال لي: ما بالكم هذه المرة الخامسة التي أخرج هذا الكتاب من مكانه، ثم أحضر الكتاب.

قلت له: يبدو أنّه هام جداً لذلك يطلب.

وعدت إلى طاولتي ومعي أوراقي، وبدأت بقراءة الكتاب، فقرأت المقدمة، وكان بحثها يدور حول مسألة الصلاة على محمد وآل محمد وعلى الصالحين من عباد ا تعالى، ثم بدأت بتصفيح الكتاب، فرأيت في الباب الثالث يتحدث المؤلّف حول دوام الدنيا بدوام أهل بيته (صلى ا عليه وآله وسلم)، ووجدت حديثاً لفت انتباهي عن جابر بن عبدا ، وابن عباس قالوا: قال رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم): "النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأهل الأرض" (١)، فأخذت أسجل كل ما يلفت انتباهي من الكتاب، ومررت بخطبة للإمام علي (عليه السلام) خطبها بعد عودته من صفين، يصف ويذكر فيها آل محمد (صلى ا عليه وآله وسلم): "هم موضع سره، ولجأ أمره، وعيبة علمه، وموئل حكمه، وكهوف كتبه، وجبال دينه، لا يقاس بآل محمد (صلى ا عليه وآله وسلم) من هذه الأمة أحد، لهم خصائص الولاية، وفيهم الوصية والوراثة...".

وفي موقع آخر قال: "بنا اهتديتم في الظلماء، وتسنمتم ذروة العلياء" (٢).

---

(١) ينابيع المودة للقندوزي الحنفي، الباب الثالث: ٧٢.

(٢) ينابيع المودة للقندوزي الحنفي، الباب الثالث: ٨٣.

فوجدت هذه الخطبة تفسر لي الحديث السابق، فقلت: سبحان ا . وما أجمل هذه البلاغة والبيان في كلام الإمام علي (عليه السلام).

ثم تابعت قراءتي، ووجدت أن أكثر استناد المؤلّف لأحاديثه يأخذها من مسند أحمد بن حنبل والحاكم في مستدركه.

دونت بعض الأحاديث، وقارب وقت إغلاق المكتبة لأبوابها، سلّمت الكتاب وعدت ادراجي إلى المنزل وأنا أفكر: إذن هذه الأحاديث موجودة في المسانيد والصحاح، لم لا يذكرها المشايخ لنا أثناء حلقات الدرس وخطب الجمعة؟

ثم إن الصلاة بيننا وبينهم لا فرق بها، بل أعتقد أنها الأصح، لكونها تستند إلى نص قرآني وسنة نبوية!

اتصال هاتفي بالسيد السراوي:

مضى بعض الوقت لزيارتي آخر مرة للمكتبة، وفي هذه الأثناء قابلت صديقاً لي في المنطقة دعاني لتناول الشاي عنده، فقمت بتلبية طلبه وذهبت إليه، وجرى تبادل بعض الأحاديث حول العمل وتكوين أسرة ومتطلبات الحياة، ثم خرج ليحضر الشاي، فجاءتني فكرة الاتصال مع السيد السراوي وشكره على توضيحه لي للمسائل الفقهية، فانتظرت عودة صديقي وطلبت منه استعمال الهاتف، فقبل ذلك، وطلبت الرقم ورن الهاتف ثم ظهر صوت السيد وتبادلنا بعض الكلام، وحدثته بأنني ذهبت إلى المكتبة الظاهرية، فأبدى سروره بذلك، ثم دعاني لزيارته وحدد لي موعداً مناسباً له، ثم أنهينا المخابرة الهاتفية مؤكداً على الزيارة له.

فسألني صديقي: مع من كنت تتكلم؟ لأنه لاحظ أنني أقول (سماحتك) (سيد).

فقلت: إنني أتكلم مع أحد فضلاء الشيعة.

فقال لي: كيف تعرفت عليه؟

أجبته: تلك قصة يطول شرحها.

فقال: أتمنى أن أتعرف عليه.

فقلت: بعد زيارتي له أطلب الاذن منه لحضورك..

ولكن قل لي: لماذا هذا الطلب منك، هل هناك شيء ما؟

قال: لا، ولكن أردت التعرف على أفكار الشيعة.

غادرت بيت صديقي وأخذت في العمل عدة أيام حتى اقترب الموعد لزيارة السيد في منزله بالسيدة زينب (عليها السلام).

زيارتي للسيد السراوي:

حضرت في الموعد المحدد لزيارة السيد، وقرعت جرس الباب، فأخرج السيد رأسه من نافذة البهو مرحباً وفتح لي الباب، ثم صعدت إلى غرفته وبدأت الحوار معه فوراً حتى لا أضيع وقتاً دون الاستفادة من لقائنا.

قلت: سيدي وجدت حديث "اثنى عشر خليفة" (١) في كتاب (النهاية) لابن كثير، والحقيقة أنني بحثت حسب إمكاناتي وسألت عدداً من الأساتذة ولي قريب خطيب جمعة، ولكن لم أجد عنده إجابة مقنعة، منهم تهرب من تفسيره، ومنهم من عد لي الخلفاء حتى تجاوز الاثني عشر، ومنهم من التقط أسماء من كلّ عصر رجلا أو

---

(١) البداية والنهاية: ١٤١/٦ و ١٤٥ و ١٨٢.

اثنين، ولكن لم أقتنع، وهذه الأحاديث وجدت لها مشابه في البخاري ومسلم (١) مع بعض الاختلاف، أرجو أن تفيدني إذا سمحت.

السيد: الصحيح ليس فقط البخاري ومسلم وابن كثير الذين ذكروا هذا الحديث، أذكر لك على سبيل المثال الحمويني في كتابه (فرائد السمطين) والخوارزمي في (المناقب) و (مقتل الحسين)، والثعلبي في تفسيره وغيرهم كلّهم قالوا أو نقلوا عن رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)حديث اثني عشر خليفة كلّهم من قريش، وجاءت روايات أُخَر (كلهم من بني هاشم) (٢).

وأذكر لك حديثاً من كتاب ينابيع المودة للقندوزي الحنفي وهو من علماء السنة نقلا عن الإمام علي (عليه السلام) قال: قال رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم): "لا تذهب الدنيا حتى يقوم في أمتي رجل من ولد الحسين يملأ الأرض عدلا كما ملئت ظلماً وجوراً" (٣).

وعن عباية بن ربعي عن جابر قال: قال رسول ا (صلى ا عليه وآله و سلم): "أنا سيد النبيين، وعلي سيد الوصيين، وإن أوصيائي بعدي اثنا عشر،

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأحكام: ٤٩٨/٤ (٧٢٢٢)، صحيح مسلم كتاب الامارة: ١١٥٤/٣ (١٨٢١).

(٢) مودة القربى للهمداني: المودة العاشرة، ينابيع المودة للقندوزي: ٣١٥/٢.

(٣) ينابيع المودة للقندوزي: ٢٩١/٣ و ٣١٧/٢.

أولهم علي، وآخرهم القائم المهدي" (١).

قلت: لقد قرأت بعض هذه الأحاديث من الكتاب الذي ذكرته في زيارتي للمكتبة، هل معنى هذا أن هناك خلفاء غير الخلفاء الراشدين؟! وهل يدخل أصحاب المذاهب الأربعة في هذا الحديث؟ علماً أنني قرأت أن بعض هؤلاء تتلمذوا على يد أحد أبناء الإمام علي (عليه السلام).

السيد: كما قلت لك: إن الأئمة الاثني عشر (عليهم السلام) هم أوصياء رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)، وقد نص عليهم من ا سبحانه، وهم من أبناء الإمام علي (عليه السلام)، ولادخل لأبي بكر وعمر وعثمان بالموضوع، ولا أئمة المذاهب السنية الأربعة لذلك وإن تتلمذوا عند بعض أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، ولأنهم خرجوا من إطار المدرسة الامامية وتركوا الأصول الفقهية وعملوا بالقياس العقلي والاستحسان النظري، حتى أن بعضهم اجتهد بخلاف النصوص الجلية فوقعوا في لبس التضليل.

قلت: فمن هم أئمة أهل البيت (عليه السلام) الذي يتبعهم الشيعة؟ أرجو إيضاح أسمائهم.

السيد: ورد حديث متواتر عن رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) لدينا محدداً أسماءهم، بل وحتى صفاتهم، أذكرهم لك:

---

(١) ينابيع المودة للقندوزي: ٢٩١/٣ و ٢٩٦/٣ عن ابن عباس.

١ ـ علي بن أبي طالب (أمير المؤمنين).

٢ ـ الحسن بن علي (السبط).

٣ ـ الحسين بن علي (سيد الشهداء).

٤ ـ علي بن الحسين (زين العابدين).

٥ ـ محمد بن علي (الباقر).

٦ ـ جعفر بن محمد (الصادق).

٧ ـ موسى بن جعفر (الكاظم).

٨ ـ علي بن موسى (الرضا).

٩ ـ محمد بن علي (الجواد).

١٠ ـ علي بن محمد (الهادي).

١١ ـ الحسن بن علي (العسكري).

١٢ ـ المهدي المنتظر (عجل ا تعالى فرجه الشريف).

قلت: فمن إذن صاحب المذهب الذي تأخذون بفقهه؟!

السيد أبو حيدر: بعد ما جرى الظلم والتعسف على أهل البيت (عليهم السلام) وأتباعهم، خفي أمر الفقه الذي كان يأخذ به الشيعة من الإمام علي (عليه السلام)، حتى جاء الإمام السادس جعفر بن محمد (عليه السلام) فأظهره، حيث كانت الفرصة مهيأة لذلك، فتصدى الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)لنشر فكر أهل البيت، وكون مدرسة كبيرة حتى تخرج على يده مايقارب الأربعة الآف طالب، منهم أبو حنيفة النعمان، وسفيان

الثوري، وعطاء، وجابر بن حيان، وغيرهم.

ولقد اعترف علماء السنة بكل هذا، ومع ذلك أبوا أن يجعلوا المذهب الجعفري مع المذاهب الأربعة، لكنه اشتهر وصمد، لأنه كان يستمد فقهه من شجرة طيبة أصلها ثابت في الأرض وفرعها في السماء، وسمي بالمذهب الجعفري نسبة للإمام جعفر بن محمد (عليه السلام).

قلت: وجدت حديث افتراق أمتي (١).... وذكرت الحديث، ولكن لم استطع فهم الفرقة الناجية، وأحضرت كتاب الملل والنحل ولكن لم أجد جواباً شافياً، فارجو توضيح ذلك.

السيد: أورد لك حديثاً واحداً فقط، وأدعوك لمراجعة مصادره: قال رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم): "أنا مدينة العلم وعلي بابها ومن أراد المدينة فليأت الباب"، وأنقل لك مصادر علماء السنة لهذا الحديث، وهم:

السيوطي في جمع الجوامع، والحاكم النيسابوري في مستدرك الصحيحين، والمتقي الهندي في كنز العمال، وابن عبد البر القرطبي في الاستيعاب، وابن عساكر في تاريخه، والعلامة ابن الأثير الجوزي في أُسد الغابة، ومحب الدين الطبري في كتابه الرياض النضرة وفي ذخائر العقبى، وابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب، والمناوي في فيض القدير، وابن حجر المكي في الصواعق

---

(١) مستدرك الحاكم، كتاب الإيمان: ١٠٢/١ (١٠)، وقال: هذا حديث كثر في الأصول.

المحرقة، ومحمد بن علي الصبان في إسعاف الراغبين، وغيرهم (١).

وورد حديث أيضا عن رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم): "من أراد أن يحيا حياتي فليوال علياً من بعدي"، ارجع إلى نفس المصادر تجد ذلك (٢).

البحث حول حديث الثقلين:

قلت: هل هناك حديث نبوي شريف يحكم باتباع أهل البيت (عليهم السلام)؟

السيد: سأذكر لك هذا الحديث وهو متواتر عند السنة وعندنا، عن رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)قال: "كأني قد دعيت فأجبت، إنّي تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب ا وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنّهما لن يفترقا حتى يردا علي

---

(١) جمع الجوامع: ١٧٧/٢ (٤٧٨٣)، مستدرك الحاكم: ٣٣٩/٣ (٤٦٩٥ ـ ٤٦٩٧)، كنز العمال: ٦٠٠/١١ (٣٢٨٨٩)، الاستيعاب: ١١٠٢/٣، تاريخ دمشق: ٣٧٨ ـ ٣٨٤، أُسد الغابة: ٢٢/٤، الرياض النضرة: ١٣٧/٢ (١٤٣٩ ـ ١٤٤٠)، ذخائر العقبى: ٧٧، تهذيب التهذيب: ٣٣٧/٧، فيض القدير: ٣٦/١، الصواعق المحرقة: ٣٥٧/٢ (٧)، إسعاف الراغبين ـ بهامش مشارق الأنوار ـ: ١٤٧.

(٢) مجمع الزوائد: ١٠٨/٩، تاريخ دمشق لابن عساكر: ٢٤٠/٤٢، الاصابة لابن حجر: ٥٨٧/٢ (٣٨٦٧)، ينابيع المودة للقندوزي: ٣٧٩/١، وغيرها.

الحوض" (١)، وهذا الحديث موجود في كل من الصحاح، وفي كتاب الجامع الصغير للسيوطي (٢)، ومسند أحمد بن حنبل (٣)، وغيرها.

قلت: كيف يقولون: إنّه قال: "ما أنا عليه وأصحابي" (٤)! وكيف يقولون: إنه قال: "كتاب ا وسنتي" (٥).

السيد: هذه الأحاديث جاءت بعد معاوية لتضال وتعتم على ذكر أهل البيت، وهي نتاج سياسة مدبرة منذ وفاة رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)، حيث أن النبي (صلى ا عليه وآله وسلم) نص على أن الخلافة من بعده إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)وفي عدة مناسبات: في حديث الانذار، وحجة الوداع أو بيعة يوم الغدير، وحتى في الغزوات كلها يقول رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم): علي حامل الراية، علي مع القرآن والقرآن مع علي، وعندما خرج رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)إلى غزوة تبوك ترك الإمام علي (عليه السلام) في المدينة فأرجف

---

(١) مستدرك الحاكم: ٣٢٣/٣ (٤٦٣٤) و ٣٥٩/٣ (٤٧٦٩)، صحيح ابن خزيمة: ٦٢/٤ (٢٣٥٧)، مسند أبي يعلى: ٢٩٧/٢ (١٠٢١)، سنن الترمذي: ١٢٤/٦ (٣٧٨٦)، وغيرها.

(٢) جمع الجوامع للسيوطي: ٣٤٩/٥ (١٥٥٨٢).

(٣) مسند أحمد: ١٧/٣ (١١١٧٤) و ٥٩/٣ (١١٥٧٨).

(٤) ذكره الحاكم في المستدرك، والترمذي في سننه، وغيرهم.

(٥) ذكره مالك بن أنس في الموطأ، وهو أول من روى هذا الخبر مرسلاً، وكل الذين رووه بعد ذلك لا تخلو أسانيدهم من كذاب ومنكر الحديث ومخلط و....

المرجفون بذلك، وقالوا: لقد تركه مع النساء والصبيان، فلحقه الامام (عليه السلام)، وقال: يارسول ا أتتركني مع النساء والشيوخ والصبيان؟ فقال له: رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) "ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ إلاّ أنّه ليس نبي بعدي" (١).

قلت: هذا يعني من خلال طرحك للنصوص أن القوم امتنعوا عن تنفيذ أوامر الرسول (صلى ا عليه وآله وسلم).

السيد: عليك بمراجعة المصادر، وأنصحك بقراءة كتاب "الغدير" للعلامة الأميني، وهو كتاب تاريخي أدبي يحوي على أمور كثيرة في أحد عشر مجلداً، وأقدم لك نسخة من كتاب "نهج البلاغة" للامام علي (عليه السلام) بشرح محمد عبده، وكتاب "التشيع" للسيد عبدا الغريفي، على سبيل الهدية.

قلت: شكراً يامولاي على هديتك وأرجو أن يجزيكم ا خيراً ولتسمح لي بالانصراف، أظن لدي بحثاً طويلا في المصادر قد لا أراك لفترة طويلة، ولكن سأعود إن شاء ا .

وخرجت من عند السيد مودعاً له أنا أضرب أسداس بأخماس، ماهذا الذي جرى لأمتنا الإسلامية؟! إن حجية هذه الأحاديث تبين أحقية الإمام علي (عليه السلام) بالخلافة، فما الذي جرى؟! ثم تذكرت

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي: ١٣٥/٣ (٤٤١٦)، صحيح مسلم، كتاب الفضائل: ١٤٨٩/٤ (٣٤٠٤)، مسند أحمد: ١٧٧/١ (١٥٣٢)، وغيره.

الحوادث التي جرت معي في كتاب "البدايه والنهاية"، وقلت: هناك أمراً ماحصل، وهي الحلقة المفقودة بين وفاة رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)وبين ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام).

زيارة مفاجئة:

بعد مضي وقت من الزمن احترت في أمر المصادر وكيف يمكن لي جمعها، فأمر الذهاب إلى المكتبة الظاهرية صعب، لأنه يلزمني وقتاً طويلا لمراجعتها، وأيضاً المكان بعيد بعض الشيء، فوجدت أنه من الضروري الذهاب لزيارة الأخ "أبو عبدو" وقد أجد لديه حلا للموضوع.

كانت الساعة التاسعة مساءاً، توجهت إلى منزل الأخ "أبو عبدو"، وسألته: هل لديك هذه الكتب؟ وناولته ورقة كتبت عليها أسماء المصادر، فضحك وقال لي: وهل أنا مكتبة عامة حتى يكون لدي كل هذه المصادر، على كل حال أدخل الآن وسنرى.

قال لي الاخ أبو عبدو: يبدو أنك قطعت شوطاً كبيراً بالبحث؟

قلت: سمحت لي الظروف، وزرت المكتبة الظاهرية بدمشق، ومن ثم زرت السيد الذي عرفتني عليه، وها أنا أطلب العون منك، هل لديك كتاب "الجامع الصغير"؟ أريد توثيق حديث الثقلين إذا أمكن.

الأخ أبو عبدو: نعم موجود عندي وسأحضره لك.

ثم ذهب وعاد بالكتاب وفتح الجزء الأول ص٢٥٤، وقال: إقرأ الحديث وبدأت بالقراءة وكان مدرجاً تحت رقم ٢٦٢١ وهو: قال رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم): "إنّي تارك فيكم خليفتين: كتاب ا حبل ممدود ما بين السماء والأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض" رواه زيد بن ثابت، وسنده صحيح (١).

ثم أحضر لي مجلداً من مسند أحمد بن حنبل ورأيت فيه نفس الحديث (٢).

ثم أحضر لي كتاب "الغدير" المجلد الأول والثاني وقال لي يمكنك استعارتهما وستجد هذا الحديث كاملا في حجة الوداع.

ودعته وخرجت منصرفاً من عنده بعد أن تبادلنا بعض الأحاديث وبصحبتي الكتابان اللذان قدمهما لي للاعارة.

حذّرني البعض من مواصلة البحث:

بعد فترة زارنا قريبي الشيخ ليطمئن على صحة والدي حيث أنه أصيب بوعكة صحية، وعندما بدأ بتناول الشاي..

سألني: هل لازلت تبحث وتتعب نفسك بالأسئلة الكثيرة

---

(١) شرح المناوي في كتاب فيض القدير شرح الجامع الصغير، وقد قال: وفي رواية الثقلين بدل خليفتين، وقد صحح أسانيده، فراجع.

(٢) مسند أحمد: ١٤/٣ (١١١١٩) و ١٧/٣ (١١١٤٧)....

والمحرجة؟ لقد علمت بزيارتك للشيخ عبدا وإحراجه في المسجد، وطرحك بعض الأسئلة، هذا لا يجوز يابني أرجو أن تعقل أكثر!

قلت: وكيف عرف الشيخ عبدا أنني أمت لك بصلة قرابة؟

ثم إني لم أحرجه، أردت استيضاح بعض الروايات وهو أراد تكذيبي.

قريبي الشيخ: لقد سأل عنك ومن تكون، وعندما علم بقرابتنا جاءني واشتكى عندي منك، أرجو أن لا تتكرر ثانية.

قلت: اطمئن، هناك مايشغلني عنه، ولكن قد أعود إليه مرة أخرى.

الشيخ: يابني، إن رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) توفي وهو راض عن صحابته، والأمة أجمعت عليهم بأسرها، وسمي العهد بعد الدعوة بالخلافة الراشدية، ولم يختلف أحد فيهم من أهل السنة والجماعة.

قلت: عظيم، لقد طرحت سؤالا وسوف أقوم بتدوينه حتى أبحث عن هذا الأمر.

الشيخ: ستعود لتسأل، هل تشكك بقولي؟!

قلت: لا، ولكن أردت الإيضاح أكثر.

الشيخ: لقد ولى رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) أبا بكر على الناس، وقال "يابى ا والمؤمنون إلاّ أبابكر"، فإياك.. وأنا أحذرك من الخوض في

الصحابة، وقد أنذرتك، لأنه قد يحلّ عليك الغضب يابني.

قلت: ولماذا يحلّ الغضب علي؟! هل سأعصي إذا ذكرت الصحابة؟! ألا يجب أن أعرف شيئاً عن القوم الذين عاصروا حياة النبي (صلى ا عليه وآله وسلم)، أم أبقى جاهلاً لا أعلم شيئاً، وشكراً على تحذيرك إياي.

ثم انصرف الشيخ وهو يقول لي: إنّي حزين على وضعك، وأرجو أن لا تتوسع كثيراً لكي لا تضيع.

عقبات في طريق البحث:

بعد زياراتي ولقاءاتي مع عدد من علماء السنة وبعض المثقفين، وأسئلتي التي لم أجدلها جواباً شافياً عندهم، وسكوتهم المطبق على كثير من القضايا، ومحاولة التملص من ذكرها والاسترسال فيها، وبعد لقائي مع السيد السراوي وإشاراته الملفتة للانتباه حول بعض القضايا العقائدية ونصحه لي بمراجعة المصادر من كتب العامة، وجدت أنه علي البحث بنفسي ولو كلفني الوقت الكثير والجهد والسعي من مكتبة إلى أُخرى ومن كتاب إلى كراس، وتمثلا بالمثل الشعبي (لن يحك ظهرك غير ظفرك).

عدت إلى الأخ "أبو عبدو" وطلبت منه مجموعة "البداية والنهاية" كاملة على سبيل الاعارة، فأعطاني إياها ودعا لي بالتوفيق، ثم بدأت بتقسيم وقتي بين العمل ومتابعة البحث، وخصصت ثلاث ساعات قابلة للزيادة في مجال المطالعة والبحث، واسترسلت في قراءة "البداية والنهاية"، فهي مجموعة كبيرة العدد بالنسبة لي، وآليت أن لا أقرأ معها شيئاً آخر حتى لا يتشتت ذهني، واستغرق قراءة الكتاب مني أسبوعاً كاملا، كل يوم أربع ساعات

قراءة وكتابة بعض الأحاديث.

وجدته ـ أي ابن كثير ـ يكرر رواياته كثيراً وتوجد بعض التناقض فيها، واستنتجت من متابعاتي في الكتاب دور الإمام علي الهام والبارز في الدعوة المحمدية، وولاءه المطلق لرسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)ودفاعه المستميت عنه.

وفي بدء الدعوة لم ينصر محمد بن عبدا (صلى ا عليه وآله وسلم) سوى السيدة خديجة رضي ا عنها، حيث نصرته بالمال والكلمة الطيبة والعاطفة الجياشة والحب القوي الذي كانت تكنه لرسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)، حتى أن هبط الأمين جبرئيل (عليه السلام) يبشرها ببيت في الجنة لا صخب فيه ولا نصب وأقرأها الباري عزوجل السلام، وهي رضي ا عنها الصدر الحنون الذي كان يلجأ إليه عندما يعود من سفراته واعتكافه في الغار، ويخبرها بما رأى وحصل معه، وهي أم أولاده (عليهم السلام) وأم الزهراء (عليها السلام)البضعة الطاهرة، التي حملت بالأئمة الأطهار الذين حملوا عبء الرسالة ودافعوا عن دين جدهم.

وكان عمه أبوطالب المربي الفاضل والناصح لابن أخيه، هذا الرجل الذي ماظلم حق مثلما ظلم حقه، حيث جعلوه عرضة لأكاذيب وافتراءات، فكان المدافع والحامي لابن أخيه، ليس فقط لأنه أراد العمل بوصية أبيه عبد المطلب (عليه السلام)، بل لأنه اقتنع وآمن بدعوة محمد (صلى ا عليه وآله وسلم) وصدق رسالته، ويرى سيدنا محمد (صلى ا عليه وآله وسلم) يصلي

والإمام (عليه السلام) عن يمينه فيقول لابنه جعفر: "صلّ جناح ابن عمك وصلّ عن يساره" (١).

إيمان أبي طالب:

ما كان وما مات أبو طالب إلاّ مؤمناً، موحداً با ، مصدقاً بدعوة النبي (صلى ا عليه وآله وسلم)، وقد كان على دين الحنيفية دين سيدنا إبراهيم الخليل (عليه السلام)، ويعلم أن نبياً سيولد في العرب من أكرم البيوت، التي كانت أعناق القبائل واليهود تشرأب له.

فعندما تنقل من مكان إلى آخر مصطحباً معه ابن أخيه محمد (صلى ا عليه وآله وسلم)، وقول العرفاء له: سيكون لهذا الغلام شأن كبير فاحفظه وانصره وسيكون له أعداء، وعندما أظهر النبي الكريم (صلى ا عليه وآله وسلم) دعوته، قال له أبو طالب: "أخرج ابن أبي فإنك الرفيع كعباً، والمنيع حزباً، والأعلى أبا، وا لا يسلقك لسان إلاّ سلقته ألسن حداد، واجتذبته سيوف حداد، وا لتذلان لك العرب ذل البهم لحاضنها..." (٢).

هذا قمة الإيمان بعينه، وقد دافع وناهض من أجل محمد،

---

(١) أُسد الغابة لابن الأثير: ٢٨/١.

(٢) هذا الكلام ذكره ابن طاووس في الطرائف: ١ح ٣٨٨ عن كتاب نهاية الطلب وغاية السؤول في مناقب آل الرسول لإبراهيم بن علي الدينوري، وانظر: شيخ الأبطح ٢٢ ط بغداد، وأبو طالب مؤمن قريش ١٢٤ ط مصر.

فعارضه أبو لهب وقال: "وا لنمنعنه مابقينا" (١)، وعندما نص الرسول (صلى ا عليه وآله وسلم) على علي (عليه السلام) قالوا لأبي طالب بعد خروجهم من الدار وقام بانذارهم رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) قالوا له: "قد أمرك أن تسمع لابنك" (٢)ـ يعنون علياً ـ ولكنه لم يأبه لقولهم بل أجابهم: "دعوه فلن يألوا ابن عمه خيراً" (٣).

فكيف لا يكون مؤمناً؟! بل هو مؤمن بكل وجوده، وهو يأمر أخاه حمزة بأن يلحق بمحمد وينصره، وأبيات شعره خير دليل على إيمانه وحثه إلى أخيه حمزة (رضي ا عنه) الذي كان يكنّى بأبي يعلى:

فصبراً أبا يعلى على دين أحمد وكن مظهراً للدين وفقت صابرا

وحط من أتى بالحق من عند ربه بصدق وعزم(وحق)لاتكن حمز كافرا

فقد سرني إذ قلت إنك مؤمن فكن لرسول ا في ا ناصرا

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٦١/٢.

(٢) تاريخ الطبري: ٣٢١/٢.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد، ذكر علامات النبوة بعد نزول الوحي: ١٤٧/١، تاريخ دمشق ٤٦/٤٢.

وباد قريشا بالذي قد أتيته جهاراً وقل: ماكان أحمد ساحرا (١)

وقد قيل إن رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) قال عن عمه أبي طالب (رضي ا عنه): إنه في ضحضاح من نار!

فرأيت البحث عن الحديث أجدى حتى أتبين، فوجدت أن راوي هذا الحديث هو المغيرة بن شعبة، ولما تابعت مواقفه وفعاله رأيته ليس أهلا للأخذ بأقواله ونقله، فما هو إلاّ زان (٢) وجب عليه الحد في عهد عمر بن الخطاب، ثُم لم يحده وحد الشهود عليه، ومواقف المغيرة من الإمام علي (عليه السلام) بينتها الحوادث والوقائع، فهو من ألد أعدائه.

ثم لماذا لم يذكره أحد غير المغيرة، كأبي بكر وعمر بن الخطاب وعثمان وباقي الصحابة؟!.

لقد قال كثير من علماء السنة بثبوت إيمان أبي طالب، كيف لا! فقد كان مؤمناً با إيماناً فطرياً على دين سيدنا إبراهيم الخليل (عليه السلام)، ثم آمن بدعوة ابن أخيه محمد بن عبدا ، ولقد قال رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم): "أنا وكافل اليتيم كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى" (٣)، وأبو طالب

---

(١) كنز الفوائد للكراجكي: ١٨١/١، الغدير للأميني: ٤٨١/٧.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الاثير: ٥٤١/٢، تاريخ الطبري: ٦٩/٤.

(٣) صحيح البخاري، باب اللعان: ٤٢٥/٣ (٥٣٠٤).

كفل النبي (صلى ا عليه وآله وسلم) كما كفله جده عبد المطلب (رحمه ا) ورعاه وهيأ له الأرضية المرنة لنشر الدعوة.

ثم لو تركنا كلّ هذه الدلائل، ألم تكن السيدة فاطمة بنت أسد رضي ا عنها زوجة لأبي طالب؟! ألم تكن مؤمنة مسلمة رعت وكفلت النبي (صلى ا عليه وآله وسلم) وصلي عليها الرسول (صلى ا عليه وآله وسلم) بعد وفاتها واضطجع في قبرها تكريماً ووضع عباءته في القبر (١)، فبقاء فاطمة بنت أسد رضي ا عنها على عصمة أبي طالب (رضي ا عنه)وهي من المؤمنات السابقات إلى الإسلام أول دليل على إيمان أبي طالب (عليه السلام)، إذ كيف يقر النبي (صلى ا عليه وآله وسلم)بقاءها على عصمة أبي طالب وهو على الكفر وقد حرم الدين الإسلامي المشركة على المسلم والمشرك على المسلمة، ولا يخفى عليكم أن فاطمة بنت أسد أسلمت بعد عشرة من المسلمين وبقيت مع أبي طالب وهاجرت إلى المدينة، وهي أول امرأة بايعت الرسول (صلى ا عليه وآله وسلم).

ومن دلائل إيمانه هذه الأبيات التي قالها عندما علم أن قريشاً تعد أمراً ما لقتل النبي (صلى ا عليه وآله وسلم).

وا لن يصلوا إليك بجمعهم   حتى أوسد بالتراب دفينا

---

(١) مستدرك الحاكم، مناقب أمير المؤمنين: ٣٢٢/٣ (٤٦٣٢).

فاصدع بأمرك ماعليك غضاضة وأبشر بذاك وقر منك عيونا
ودعوتني وعلمت أنك ناصحي ولقد صدقت(دعوت)وكنت ثم أمينا
ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا (١)

ولقد جاء إليه وفد قريش، وقالوا له: نعطيك عمارة بن الوليد وهو فتي قريش، اتخذه ولداً وسلّم لنا ابن أخيك نقتله، فإنما هو رجل كرجل.

ولكن أبا طالب احتقرهم واستهزأ بهم، ثم قال: وا لبئس ما تسومونني، أتعطونني ابنكم أرعاه وأغذيه وأسمنه لكم وأعطيكم ابني لتقتلوه، هذا وا ما لا يكون أبداً (٢).

وله أبيات جميلة يصف فيها فضل بني هاشم وسيدنا محمد، أذكر بعضها:

---

(١) ذكره الثعلبي في تفسيره وقال: قد اتفق على صحة نقل هذه الأبيات من أبي طالب: مقاتل، وعبدا بن عباس، والقسم بن محضرة، وعطاء بن دينار.

وراجع: السيرة الحلبية: ٤٠٨/١، البداية والنهاية لابن كثير: ٣٨/٣، فتح الباري لابن حجر العسقلاني: ٢٤٦/٧ (٣٨٨٥)، وغيرهم.

(٢) تاريخ الطبري: ٣٢٧/٢، سيرة النبي (صلى ا عليه وآله وسلم) لابن هشام: ١٧٢/١.

إذا اجتمعت يوماً قريش لمفخر فعبد مناف سرها وصميمها

فإن حصلت أشراف أنساب عبد منافها ففي هاشم أشرافها وقديمها

وإن فخرت يوماً فإن محمداً هو المصطفى من سرها وكريمها(١)

وأدلّ دليل على إيمانه أيضا تلك القصيدة الرائعة التي قالها لسيدنا محمد (صلى ا عليه وآله وسلم)عندما رفع سيفه بوجه قريش ورمى بعض الدم والرفث على أحد وجهائهم لأنهم أرادوا الاستهزاء بمحمد (صلى ا عليه وآله وسلم)ورموا عليه بعض الحجارة والدم، وهذه القصيدة تبين الإيمان المطلق لأبي طالب (عليها السلام) أذكر بيتين فيها.

أنت النبي محمد قرم أغر مسود

لمسودين أكارم طابوا وطاب المولد

وعندما عاودت الكـ ـرة تلك الفئة الطاغية جاء إلى ابن أخيه قائلا:

---

(١) السيرة الحلبية: ٤٣/١، وغيره.

أعوذ برب البيت من كل طاعن   علينا بسوء أو يلوح بباطل

ومن فاجر يقتابنا بمغيبه   ومن ملحق في الدين مالم نحاول

كذبتم وبيت ا   يبزي محمداً   ولما نطاعن دونه ونناضل

وننصره حتى نصرع دونه   ونذهل عن أبنائنا والحلائل

لعمري لقد كلفت وجداً بأحمد   وأحببته حب الحبيب المواصل

وأيده رب العباد بنصره   وأظهر دينا حقه غير باطل (١)

بعد كل هذا هل يصح أن يشك أحد بإيمان الرجل الصالح أبي طالب (عليه السلام)، ومن أراد الاستزادة فليراجع السيرة الحلبية وتاريخ الطبري وابن الأثير، ليرى كم ناضل وجاهد هذا الرجل في نصرة ابن أخيه وإيمانه بدعوته.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٧٧/١٤.

الاهتمام بالبحث:

بعد انتهائي من مراجعة بعض كتب السيرة والتاريخ وعلى رأسها كتاب "البداية والنهاية" تشكلت لدي ملامح ورؤية حول الدعوة المحمدية.

لقد تكفل ا عز وجلّ حفظ وصون القرآن الكريم من التحريف والضياع بقوله: (إنا نَحن نزلْنا الذكر وإنّا لَه لَحافظُون) (١)، وبما أن القرآن الكريم حفظه ا ، وبما أن اللطف الإلهي سبحانه أدى إلى بعثته لنبيه محمد (صلى ا عليه وآله وسلم)على العالمين، فكانت مهمة الرسول الأعظم (صلى ا عليه وآله وسلم)بيان وترجمة هذا الكتاب السماوي وتوضيح معانيه وأحكامه للبشرية، وذلك من خلال السنة المطهرة التي هي قول وفعل وتقرير النبي (صلى ا عليه وآله وسلم).

وبما أن السنة رديفة للقرآن الكريم وملازمة له، كان لابد من أن تبقى السنة محفوظة عند الناس كاملة صحيحة، لأنها إذا اختلت اختل وضاع معنى كلام ا ، وتأول المتأولون حسب اجتهاداتهم،

---

(١) الحجر: ٩.

ولذلك حذر النبي (صلى ا عليه وآله وسلم)بقوله: "من كذب علي عامداً متعمداً فليتبؤا مقعده من النار".

فالسنة ليست قضية ظن واجتهاد، إنما هي وحي من ا سبحانه لرسوله الكريم: (وما ينطقُ عنِ الْهوى * إِن هو إِلا وحي يوحى) (١).

ومن هنا كان لابد لي من البحث عن السنة ودراستها، لأنني وجدت تخبطاً في كتب السير بحيث هنالك روايات تناقض بعضها الآخر، كما وجدت أن بعض الروايات التاريخية تشوبها الصبغة السياسية تبعاً لهذا الخليفة أو ذاك.

تدوين السنة:

مع كثرة الصحاح والمسانيد ورجال الحديث وجدت اختلافاً في الرأي وطعناً بالرجال، بل برؤساء المذاهب الأربعة، كل يقدم حجية قوله ولا يقبل قول غيره، (كُل حزب بِما لَديهم فَرِحون) (٢)، والكل يدعي أنه يسير وفق منهاج القرآن الكريم وهدي النبي الأعظم، فصادف أن حصلت على كتاب اسمه "ميزان الاعتدال" للذهبي من أحد الأخوة، وتبين لي أن الرواة ينقسمون إلى ثقة ومدلّس وكذّاب

---

(١) النجم: ٣، ٤.

(٢) الروم: ٣٢.

وضعيف أو ليس بمأمون، فهالني ما وجدت من تجريح للرواة، فكان علي أن أبحث حول كيفية تدوين هذه السنة المطهرة من حياة النبي (صلى ا عليه وآله وسلم) إلى الآن، أو ماذا جرى عليها، فسألت عدداً من مشايخ أهل السنة وبعض المثقفين، والكل أكد لي أن السنة تم تدوينها في عهد عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي، وهذا ما كنت أعرفه من خلال دراستي الأكاديمية وقراءاتي لبعض الكتب.

لكن سؤالي كان: لماذا تأخر تدوين السنة لقرن كامل حتى دونت؟

فكانت الأجوبة التي تقدم إلي متضاربة، وكانوا يقولون لي: خلاف جرى، ولا دخل لنا فيه، رؤية رآها أحد الصحابة بعدم كتابة الحديث حتى لا يختلط (الحابل بالنابل)، وأن رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)منع من الكتابة.

كيف منع التدوين والكتابة وهو يقول (صلى ا عليه وآله وسلم): "من رغب عن سنتي فليس مني" (١)، وقال أيضاً: "إنّه من أحيا سنّة من سنتي قد أميتت بعدي، فإن له من الأجر مثل من عمل بها..." (٢)؟!.

فلماذا حصل هذا التعتيم حول السنة وتدوينها مع أنها دونت في عهد الرسول وكان حاضراً؟! بدليل حديث عبدا بن عمر وابن

---

(١) معجم الفاظ الحديث: مادة سنة.

(٢) سنن الترمذي: ٤٠٩/٤ (٢٦٧٧).

العاص حيث قال: "كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)أريد حفظه (فمنعتني) قريش! قالوا: تكتب كل شيء سمعته من رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) ورسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)بشر يتكلم في الغضب والرضا؟ فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)، فأومأ باصبعه إلى فيه، وقال: اكتب فوالذي نفسي بيده ماخرج منه إلاّ حق" (١).

وعندما عدت إلى مسند أحمد وجدت حديثاً يثبت أن الحديث كان يكتب في عهد النبوة، وهو عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: "قلت: يا رسول ا ، إنا نسمع منك أحاديثاً لا نحفظها، أفلا نكتبها؟ قال: بلى، فاكتبوها" (٢).

وكل هذه دلائل كافية على ثبوت تدوين السنة في العهد النبوي (٣) لكن لماذا منعت فيما بعد؟!

أسباب منع التدوين:

قالوا: إن أسباب المنع هو نهي رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) عن الكتابة، وقد تبين خلاف ذلك من خلال الأحاديث المتقدمة آنفاً، ولكن هناك

---

(١) سنن الدارمي: ١٣٦/١ (١٨٤)، تحفة الأحوذي، باب في الرخصة فيه: ٣٥٧/٧.

(٢) مسند أحمد: ٢١٥/٢ (٧٠١٨) و (٧٠٢٠).

(٣) هناك الكثير من الروايات، ومن أراد المزيد فليراجع: مجمع الزوائد للهيثمي، وتقييد العلم للخطيب.

حديث رواه الذهبي في "تذكرته": "أن أبا بكر جمع الناس بعد وفاة نبيهم (صلى ا عليه وآله وسلم) فقال: إنكم تحدثون عن رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشد اختلافاً، فلا تحدثوا عن رسول ا شيئاً، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب ا فاستحلّوا حلاله وحرموا حرامه" (١).

سألت نفسي: لماذا يحرمون ما أحله ا ورسوله وا سبحانه يقول: (وما آتَاكُم الرسولُ فَخُذُوه وما نَهاكُم عنْه فَانتَهوا) (٢)؟!

فكيف نعرف ماذا نأخذ عن الرسول الكريم وما أمرنا به وما نهانا عنه إذا أحرقت الأحاديث بعد جمعها ومنع الناس من الرواية؟

والقرآن الكريم وحده لا يكفي لبيان الأمر، فهو أشار إلى الصلاة لكن لم يبين لنا عدد ركعاتها، وأشار إلى الزكاة ولم يبن لنا كيفيتها، وأشار لنا إلى الحج ولكن لم يحدد لنا عدد الطواف، وكل ذلك بينه النبي (صلى ا عليه وآله وسلم) لنا، فكيف ينهى الرسول (صلى ا عليه وآله وسلم) عن كتابة سنته وقد كان له كتاب وحي يكتبون كل مايأتي به الوحي؟!

ولماذا لم يمنع اليهود والنصارى من كتابة توراتهم أو إنجيلهم؟!

لماذا لم يمنع الشعراء من كتابه شعرهم الذي بقي خالداً إلى الآن؟!

---

(١) تذكرة الحفاظ: ٢/١ ـ ٣، الفصول في الأصول للجصاص: ١٦١.

(٢) الحشر: ٧.

وطالما أنه نهى، لماذا أمر أسرى بدر أن يعلّموا المسلمين القراءة والكتابة فدية لهم؟!

ومن هنا كانت ادعاءات أبي بكر وعمر و... باطلة لايقرها دين ولا عقل، ومحاولات باءت بالفشل وبانت الحقيقة، وما شعار أبي بكر (حسبنا كتاب ا) إلاّ تتمة وتأييداً لقول عمر بن الخطاب في رزية يوم الخميس، عندما طلب رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) دواة وكتفاً أو قرطاساً ليكتب للقوم عهده ووصيته الأخيرة حتى لايضل الناس، فصاح عمر: إن هذا الرجل ليهجر حسبنا كتاب ا !! (١).

يالهول المصيبة، حاكوا ودبروا المؤامرة ونفذوها.

ودليل آخر على وجود السنة مكتوبة، هو جمع أبي بكر نفسه خمسمائة حديث بشهادة عائشة، حيث قالت: "جمع أبي الحديث عن رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)وكانت خمسمائة حديث، فبات ليلته يتقلب كثيراً، فغمني ذلك، فقلت: أتتقلب لشكوى أو لشيء بلغك؟ فلما أصبح قال: أي بنية هلمي الأحاديث التي عندك، فجئته بها، فدعا بنار فحرقها، فقلت: لم أحرقتها؟! قال: خشيت أن أموت وهي عندي" (٢).

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الوصية: ١٠١٨/٣١ (١٦٣٧)، وغيره.

(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي، كنز العمال: ٣٨٤/١٠ (٢٩٤٦٠) عن الحاكم.

والدليل الأهم هو جمع عمر بن الخطاب الأحاديث كلها التي عند الصحابة الموجودين في المدينة وإحراقها، وهذا يدلّ على أن منع التدوين تم بتدبير الخليفتين.

والظاهر أنهم خافوا وارتابوا من أن نشر أحاديث رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)سيبين خداعهم للأمة وغصبهم لحقّ ليس لهم، وبفعلهم هذا الذي اتخذ سنة لمائة عام أرادوا تحطيم السنة المحمدية والتعتيم على فضائل آل البيت (عليه السلام).

لكن أبى ا إلاّ أن يتم نوره ولو كره من كره، وكانت إرادة ا أن تحفظ السنة بيد أهل البيت (عليهم السلام) ويتحملوا عبئها ويحدثون بها الاجيال جيلا بعد جيل لكشف مؤامرات القوم.

ماذا جرى للأمة؟:

بعدما عاد رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) من حجة الوداع، وبعد تنصيبه للإمام علي (عليه السلام)، وبعد أن دخل المتظاهرون بالاسلام الدائرة الإسلامية والّذين سماهم الرسول (صلى ا عليه وآله وسلم) الطلقاء، بدأ عهد جديد للحرب بعد أن تيقنوا أنهم لا قدرة لهم بحرب محمد (صلى ا عليه وآله وسلم)وحزبه وجهاً لوجه، وعليهم تغيير خطتهم والحرب خلف الكواليس، لكنهم صدموا عندما وجدوا تياراً طامعاً مثلهم، لكنه أكثر منهم قوة، فهدأوا قليلا، لأنهم لا طاقة لهم بمقابلة جبهتين: جبهة محمد والمخلصين معه، وجبهة الطامعين، فهؤلاء سيتوحدون مع بعضهم مقابل الطلقاء الموتورين الذين مادخلوا للإسلام إلاّ للقضاء على رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) والذين أوتروهم من صناديد جيش محمد (صلى ا عليه وآله وسلم).

ولقد عمل التيار الطامع للسلطة بتعبئة أعوانه وتحضيرهم لساعة الصفر المفترضة وأخذ يتحين الفرص، وقد أحس رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)بذلك، وأن هناك خطرين أمامه وأمام أهل بيته، فقال محذراً أمام بعض أصحابه: "في أصحابي اثنا عشر منافقاً، فيهم ثمانية لا

يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط" (١).

وقد شهد حذيفة في هذا بقوله: "أشهد با اثنى عشر منهم حرب ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد" (٢).

وقال (صلى ا عليه وآله وسلم): "إنا فرطكم على الحوض، ولأنازعن أقواماً ثم لأغلبن عليهم فأقول: يارب أصحابي أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك" (٣).

فحذّر (صلى ا عليه وآله وسلم) من هذا الخطر الداهم، مؤكداً لأصحابه أنه لا بديل عن التمسك بكتاب ا وعترته أهل بيته.

ويتجلّى كلّ هذا بوضوح لكلّ ناظر في التاريخ والسير، فقد دخل عليه الإمام علي (عليه السلام)يوماً فرآه يبكي، فقال له: "لِم تبكي يارسول ا ؟ هل ألم بك شيء أو تعرض لك أحد بقول؟"، قال (صلى ا عليه وآله وسلم): "لا، ولكن أبكي لما يستحل من دمك، فإن القوم لن يتركوك قائماً، وا لتختضب هذه من هذه" وأشار إلى رأس الإمام ولحيته، فقال له الإمام: "أفي سلامة من ديني؟"، قال (صلى ا عليه وآله وسلم): "في سلامة من دينك"، فقال الامام (عليه السلام): "لا يهمني إذن" (٤).

---

(١) صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين: ١٧٠١/٤ (٢٧٧٩)، وغيره.

(٢) صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين: ١٧٠١/٤ (٢٧٧٩)، وغيره.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الفضائل: ١٤٣٣/٤ (٢٢٩٧)، وغيره.

(٤) ينابيع المودة للقندوزي: ١٦٧/١، إقبال الأعمال لابن طاووس: ٢٧/١.

وجمع (صلى ا عليه وآله وسلم) أصحابه يوماً وقال: "هلاك أمتي على يد غلمة من قريش" (١).

بل إنه (صلى ا عليه وآله وسلم) بدأ بإظهار ضغائن القوم وأفصح عنهم، وقال: "إن أكثر بطون قريش عداء لي هم بنو أمية (٢) والشجرة الملعونة"، فطرد الحكم بن العاص ولعنه وذريته، وعندما أحس بالمرض جهز جيش أسامة وجعل كبار الصحابة سناً تحت إمرة أسامة بن زيد وأمرهم بالرحيل إلى مؤته.

هذا بعض ماجرى في آخر حياة نبي الرحمة والإنسانية (صلى ا عليه وآله وسلم)، ولمن أراد التفصيل فليراجع كتب التاريخ.

وجدت بعد وفاة الرسول الأعظم أحداثاً وأموراً كثيرة، وكان منها ما دفعني للاستبصار ما يلي:

حقائق تاريخية مذهلة:

كان حري بهم أن يمنعوا تدوين الحديث والسنة حتى يضل الناس ليس فقط مائة عام، بل مئات السنين حتى لا تنكشف حقيقة المتآمرين والذين انتظروا وفاة الرسول (صلى ا عليه وآله وسلم) بفارغ الصبر، مع أن

---

(١) صحيح البخاري، باب علامات النبوة: ٤٣٨/٢ (٣٦٠٥).

(٢) مستدرك الحاكم، كتاب الفتن: ٣٩٥/٥ (٨٦٧٦)، كنز العمال: ١٦٩/١ (٣١٠٧٤).

الرسول حاول جاهداً إبعاد الطامحين عن المدينة وإفساح المجال للإمام باستلام زمام الأمور في حياة رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)، وكان (صلى ا عليه وآله وسلم)يريد أن يرى الإمام يستلم الإمامة من بعده، لذلك خرج مرات وهو متثاقل معصوب الرأس يدعو لانفاذ بعثة أسامة، ولكن هيهات القوم لايريدون، فخرج ولعن كل من تخلّف عن الجيش (١)، فأخذوا يستدرون عطف رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)، وعطف أميرهم أسامة أننا لا نقوى على مفارقة النبي (صلى ا عليه وآله وسلم) وهو على هذه الحال.

وكان أمر ا مفعولاً، وتوفي النبي (صلى ا عليه وآله وسلم) وهو غاضب عليهم وليس راضياً عنهم كما توهم البعض، لقد غضب على المتخاذلين عندما جاءوه يشتكون له من أسامة بن زيد ويطعنون به، فخرج وقال: "وصلني أنكم تشككون بإمرة أسامة، وا إنه لخليق بالامارة، وقد شككتم من قبل بأبيه"، والمرة الثانية غضب عليهم لعدم تنفيذ أوامره وخرج ولعن كل من أراد التخاف.

وعند وفاته انسحب بعضهم وهرعوا إلى السقيفة، فقد حانت ساعة الصفر لديهم، وفرصتهم هذه تاريخية لتقرير المصير بعد أن رأوا أهل بيت النبي (عليهم السلام)والمخلصين منشغلون بتجهيز النبي (صلى ا عليه وآله وسلم)وتغسيله فلن يستطيعوا المعارضة الآن على الأقل، وهناك قسم لا

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني: ٢٣/١، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥٢/٦ نقلا عن كتاب السقيفة للجوهري.

بأس به تحرك مع أسامة بن زيد.

إذن يجب ترتيب كل شيء وبسرعة ولا يهمهم النبي (صلى ا عليه وآله وسلم).

هذه الفاجعة هزت كياني، كيف هذا؟

قلت في نفسي: كيف سمح هؤلاء لأنفسهم أن يفعلوا هذا الأمر؟ لقد رموا جهود رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) بتربيتهم وتهذيب أخلاقهم عرض الحائط، حتى أن الإمام (عليه السلام) لم يصدق أن يقوموا بهذا الامر بسرعة! جاء البراء بن عازب وطرق باب غرفة النبي (صلى ا عليه وآله وسلم) وكان أهل البيت منشغلون بتجهيز النبي (صلى ا عليه وآله وسلم)، فقال العباس للإمام: لقد فعلوها ورب الكعبة، وجاء تيار الموتورين بقيادة أبي سفيان وقال أبو سفيان للإمام (عليه السلام) وهو يرى غصب الخلافة منه أمام عينه: إذا أردت أن أملأ لك الأرض خيلا الآن لفعلت، كيف يحدث هذا وأنت موجود؟!

وأحس الإمام (عليه السلام)أن أبا سفيان يصطاد في الماء العكر لمعرفته ببواطن بني أمية التي ظهرت بعد حين، فأراد أن يضيع عليه الفرصة للفتنة، فنهره وزجره وابتعد عنه.

وبعد ذلك بدأ تسلسل الأحداث المخطط لها قبلا، التي بين أمير المؤمنين جملة منها في أقواله:

فقال الإمام علي (عليه السلام) في خطبة شهيرة له: "اللهم إني أستعينك على قريش ومن أعانهم، فقد قطعوا رحمي، وصغروا عظيم منزلتي،

وأجمعوا على منازعتي أمراً هو لي" (١).

وقال: "وقد قال قائل: إنك على هذا الأمر يابن أبي طالب لحريص، فقلت: بل أنتم وا لأحرص... وإنما طلبت حقاً لي وأنتم تحولون بيني وبينه" (٢).

وقال مرة: "فجزت قريشاً عني الجوازي، فقد قطعوا رحمي وسلبوني سلطان ابن امي" (٣).

وما كان بعد ذلك أعظم وأدهى:

بضرب الزهراء (عليها السلام)!

وهتك حرمة بيتها!

وقتل السبطين!

وجرت سنة قتل آل بيت رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)الذي أوصى بهم الرسول (صلى ا عليه وآله وسلم)!.

اعتراف عمر أيقظني من الغفلة:

إن الجرأة التي وجدتها عند عمربن الخطاب ليست شجاعة، بل هي تجري و انتهاز فرص، فقد أغضب رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) في مواطن

---

(١) نهج البلاغة، تحقيق محمد عبده: ٨٥/٢ الخطبة ١٧٢.

(٢) نهج البلاغة، تحقيق محمد عبده: ٨٤/٢ الخطبة ١٧٢.

(٣) نهج البلاغة، تحقيق محمد عبده: ٦١/٣ الكتاب ٣٦.

كثيرة! ولم أظن يوماً أن الذي يدعونه بالعادل يفعل هذا.

وقلت: ماذا فعل هذان الرجلان بالأمة الإسلامية؟ لقد قلبوها رأساً على عقب، وغيروا الموازين، كل هذا الذي كتبته هو نتاج مراجعات لمصادر تاريخية محققة بل ومثبتة، وقد توصلت في نهاية المطاف إلى نتيجة سأذكرها فيما بعد.

ولكن قبل ذلك أسجل لكم اعترافاً وجدته في كتاب ابن الأثير لعمر بن الخطاب أمام عبدا بن عباس:

قال عمر: يا ابن عباس، أتدري مامنع قومكم منكم بعد موت محمد؟

قال ابن عباس: فكرهت أن أجيبه، فقلت: إن لم أكن أدري فإن أمير المؤمنين يدريني.

فقال عمر: كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة، فتبجحوا على قومكم بجحاً بجحاً، فاختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت.

قال ابن عباس: يا أمير المؤمنين إن تأذن لي بالكلام وتمط عني الغضب أتكلم.

فقال عمر: تكلم.

قال ابن عباس: أما قولك... أن قريش اختارت لأنفسها فأصابت ووفقت، فلو أن قريشاً اختارت لأنفسها من حيث اختار ا لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود، وأما قولك: إنهم أبوا أن

تكون لنا النبوة والخلافة، فإن ا عز وجلّ وصف قوماً بالكراهية، فقال: (ذلك بأنهم كرهوا ما أنزلَ ا فأحبطَ أعمالَهم)...

فقال عمر: هيهات وا يا ابن عباس أبت وا قلوبكم يابني هاشم إلاّ حسداً لا يزول.

فقلت: مهلاً... لا تصف بهذا قلوباً أذهب ا عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً (١)، انتهى.

أقول: هذا الاعتراف كشف لي بصورة واضحة عقيدة هؤلاء ومستوى تفكيرهم ومشاعرهم نحو أهل البيت (عليهم السلام)والرسول الكريم (صلى ا عليه وآله وسلم)، وتبين لي أن القوم كانوا يدبرون من قبل مرضه (صلى ا عليه وآله وسلم)عندما بدأ يعلن بأحاديثه الخاصة والعامة خلافة الإمام علي (عليه السلام) من بعده: كحديث الإنذار، وحديث الطائر المشوي، وحديث المنزلة، والمباهلة، والتطهير، وآخرها حجة الوداع وبيعة الغدير.

ثم كيف يقول عمر: "قد اختارت قريش لنفسها فأصابت"، وا سبحانه وتعالى يقول: (وما كان لِمؤْمن ولاَ مؤْمنَة إِذَا قَضى ا ُ ورسولُه أَمراً أَن يكُون لَهم الْخيرةُ من أَمرِهم ومن يعصِ ا َ ورسولَه فَقَد ضل ضلاَلا مبِيناً) (٢).

وباعترافه هذا دلّ على أن الترتيبات الإلهية والنبوية كافةً لا

---

(١) الكامل في التاريخ: ٦٣/٣، وغيره.

(٢) الأحزاب: ٣٦.

يعترف بها، وهو أعلم بهذا من أي أحد، فجرأته في حجرة المصطفى (صلى ا عليه وآله وسلم) ورفع شعار: "حسبنا كتاب ا " لم يكن إلاّ مداراة لأفعال يخطط لها، واعترافه هذا بين ذلك أيضاً.

هذه الأمور أيقظتني وبينت لي مدى حجم مأساة أهل البيت (عليهم السلام)وأمتنا الإسلامية التي تعيش تحت نير تعتيم وتضليل ضمن هالة قداسة الصحابة.

فلا قدسية لصحابي خالف أقوال ا وأمره، ولا قدسية لمن كذب على رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)وتجرأ عليه وعلى أهل بيته (عليهم السلام)، بل لا قدسية لمن ضلّل أمة بكاملها طيلة أربعة عشر قرناً ونيف.

أعلام السنة ومثقفوهم:

بعد أن خرجت من موجة التساؤلات، واستقر فكري وقلبي على قاعدة صلبة لا تعتيم فيها ولا تضليل ولا شعارات زائفة، وهي موالاة أهل البيت (عليهم السلام) والبراءة ممن أسس وسبب الظلم عليهم، بدأت أنهل من بحر فكر أهل البيت (عليهم السلام)، محاولاً الحصول على كل كتاب ينمي فكري ويزيدني تبصراً في النهج الذي ارتضاه ا عز وجلّ لي، وأخذت أناقش بعض الشباب حول العديد من القضايا، وأهمها الأحاديث الضعيفة والمدسوسة ومصداقيتها في الصحاح.

فلا قدسية لكتاب بعد كتاب ا سبحانه وتعالى، وكل حديث لا

يوافق كتاب ا والسنة النبوية الصافية وأقوال أهل البيت (عليهم السلام) أرده على صاحبه وراويه، وما أكثر هذه الأحاديث.

كما جرت لي بعض اللقاءات والمراسلات مع بعض أعلام السنة، فكنت أناقشهم في تلك الأحاديث المختلقة وأعمال الصحابة بين مؤيد لأوامر الرسول (صلى ا عليه وآله وسلم) وبين متجرأ عليه، وكان أول لقاء لي مع شيخ من أحد أقربائي، وهو الشيخ أبو فيصل بدران.

مع الشيخ أبي فيصل بدران:

يعد شهر رمضان المبارك شهر الخيرٍ والرحمة، وكان أول يوم يبدأ فيه هو الجمعة، فتجهزت لحضور خطبة الجمعة عند قريبي الشيخ أبي فيصل، ووصلت وبعد صلاة عدد من ركعات النافلة أذن الأذان الثاني وظهر الشيخ على المنبر المرتفع أمتاراً عن الأرض، وبعد قول المقدمة المتعارف عليها عند أهل السنة أخذ يتحدث عن شهر رمضان ومكانته الرفيعة عندا عز وجلّ، وبدأ يسرد فضائله والواجبات التي يجب أن يقوم بها كلّ مسلم فيه، واسترسل في الحديث، فذكر أهمية صلاة التراويح وفضلها وأنها خير الأعمال، وأن الرعيل الأول كان لا يتوانى عن إقامتها ولو كان الجو ماطراً أو فيه رياح عاصفة، وهي خير الصلوات بعد المكتوبة، وتحدث عن أخلاقيات هذا الشهر الكريم وفضله وأنه يجمع العائلة في وقت

واحد وعلى مائدة واحدة، ومن ثم انهى الخطبة وأقام الصلاة.

بعد ذلك بدأ الناس بالخروج من المسجد تباعاً، فقررت أن أنتظره حتى ينهي نوافله، ثم تقدمت إليه مسلّماً داعياً له بالخير، فرحب بي، وكان يقف إلى جانبه أحد أصدقائه الملازمين له، فتعارفنا وتحدثنا بعض الأحاديث حول أحوال المسجد، وأنه سيكلفني باعادة صيانة بعض الخطوط الكهربائية، وعدد لي ما ينقص من أدوات وقطع يجب تأمينها لصالح المسجد، فوافقت على ذلك بكل سرور، ورأى أن هناك أمراً يشغلني!

فقال لي: يبدو أنك ستطرح سؤالا ما؟

ثم أردف قائلاً لي: نذهب سوية إلى المنزل ونرى ماذا لديك من أسئلة.

وترافقنا نحن الثلاثة إلى منزله، وعندما وصلنا وقدم الماء لنا بادرته بالسؤال التالي:

فقلت: بما أنك تكلمت عن فضل شهر رمضان المبارك وفضل صلاة التراويح، هل يوجد نص بسن صلاة التراويح جماعة؟

الشيخ أبو فيصل: صلاة التروايح موجودة أيام الرسول (صلى ا عليه وآله وسلم)، ومازالت إلى الآن شعيرة إسلامية جيدة، تجمع الناس على وقت واحد وعدد من الركعات، ولا يحضرني الآن نص أكيد على ذلك.

قلت: حسب مطالعاتي أنّها لم تُقَم بصورة جماعة في حياة

الرسول الأكرم (صلى ا عليه وآله وسلم)، ولم يذكر لنا التاريخ أن رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) جمع الناس على قارئ واحد في صلاة النافلة، بل الذي ثبت أن النبي (صلى ا عليه وآله وسلم) قال: "صلوا أيها الناس في بيوتكم، فإن أفضل صلاة للمرء في بيته إلاّ الصلاة المكتوبة" (١) هذا الحديث عن طريق زيد بن ثابت (رضي ا عنه)، وعن أنس بن مالك قال: قال رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم): "أكرموا بيوتكم ببعض صلاتكم" (٢)، ولم أجد أنا أي نص من رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)على جمع الناس في النافلة على إمام واحد.

الشيخ أبو فيصل: لكن لا يخفى عليك أن الخليفة عمر كان رجل نظام وحزم وإدارة، وأراد تنظيم الناس في هذه النافلة ليحصل لهم روحانية مطلقة، ورأى أن فيها فائدة إجتماعية أيضاً وهي سنة حسنة، وقيل: إن رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)قال: "من سن سنة حسنة كتب له أجر عمله ومن عمل بها دون أن ينقص من أجر أحد".

قلت: (مقاطعاً): ياشيخنا أنت بهذا القول تبين أن عمر بن الخطاب أفضل من النبي (صلى ا عليه وآله وسلم)! حاشا الرسول من ذلك، فأنت تقول أنّه رجل نظام وحزم، وهل النبي (صلى ا عليه وآله وسلم)لم يكن رجل نظام وحزم؟!

---

(١) مسند ابن عوانه: ٢٩٤/٢، مسند عبد بن حميد: ١١٠/١ (٣٥٠)، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين: ٤٥٢/١ (٧٨١).

(٢) صحيح ابن خزيمة: ٢١٣/٢ (١٢٠٧)، مستدرك الحاكم، كتاب صلاة التطوع: ٤٢٣/١ (١٢٠٧).

وهل عمر يرى مصلحة الأمة أكثر من النبي (صلى ا عليه وآله وسلم)؟! وماهي الفائدة الاجتماعية؟! أنظر لحال أمتنا اليوم والناس كل منهم يأخذ زوجته أو ابنته إلى المسجد، هل دخول المساجد للنساء فقط في شهر رمضان والباقي من الأشهر ممنوع أو حرام كما يقال عند بعض المشايخ: المراة لا يجوز لها الدخول إلى المساجد، فكيف إذن كانت النساء تأتي إلى رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) وهو في المسجد، وكيف كانوا يذهبون للقضاة الذين كان مركزهم هو المسجد؟.

ثم إنك تقول إنّها سنّة سنّها عمر وهي حسنة وعمر نفسه يقول: هذه بدعة، أو نعمت البدعة هذه! والنبي (صلى ا عليه وآله وسلم) قال: "كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار" (١)، فأين السنة الحسنة في ذلك طالما أن كل الصحابة يعترفون بأن هذه الصلاة لم تكن موجودة أيام الرسول الأعظم (صلى ا عليه وآله وسلم)، ولا حتى زمن أبي بكر (٢)، ولا أول الليل ولا تحديد لعدد الركعات (٣).

والغريب في الأمر أن أهل السنّة تركوا سنّة رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) واتبعوا سنّة عمر، بل رفضوا تشريع ا سبحانه وتشريع رسوله

(١) سنن النسائي، باب صلاة العيدين: ٥٥٠/١ (١٧٨٦).

(٢) إرشاد الساري للقسطلاني، كتاب صلاة التراوح: ٦٥٥/٤، فتح الباري للقسطلاني، كتاب صلاة التروايح: ٣١٧/٤ (٣٠١٣).

(٣) الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري، صلاة التراويح: ٣٤٠/٢.

الكريم واتبعوا تشريع عمر، الذي ظل عاكفاً على الأصنام فترة كبيرة حتى أعلن إسلامه، وما أكثر تشريعات عمر التي جاء بها بعد وفاة مولاه وسيده رسول ا ، (وما كَان لِمؤْمن ولاَ مؤْمنَة إِذَا قَضى ا ُ ورسولُه أَمراً أَن يكُون لَهم الْخيرةُ من أَمرِهم) (١).

الشيخ أبو فيصل: إن الخليفة عمر اجتهد وله أجر، ولو فرض أنه أخطأ فالمجتهد الذي يصيب له أجران والذي يخطىء له أجر واحد، وأنت لا تعرف أعمال عمر العظيمة، فهو مكمل لنهج رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم).

قلت: لا اجتهاد مقابل النص، فالاجتهاد هو بذل الجهد أو الطاقة لعمل ما، والنص هو كتاب ا القرآن الكريم والسنة الشريفة، وما فعله عمر لا يطابق النص، بسبب أنه لا وجود نص على صلاتنا هذه ولا السنة أكدت على ذلك، بل العكس تماماً.

وقولك بأنه اجتهد وأخطأ وله أجر على ذلك، هذا شعار رفع من قبل السلطات الجائرة لتبرير جرائم بعض المستغلين والحاقدين باسم الاسلام، فالاجتهاد موجود لاستنباط أحكام شرعية من القرآن الكريم أو السنة، أو حتى حكم شرعي قديم بحاجة لتطوير حسب متطلبات العصر دون المساس بالقاعدة الأساسية.

الشيخ أبو فيصل: من أين لك هذه الأفكار، وكيف حصلت على

---

(١) الاحزاب: ٣٦.

هذه الأحاديث، هل التقيت أخيراً مع أحد؟!

ثم همس صديقه المرافق له باذنه، ثم نظر إلي.

قلت: إن هذه الأفكار هي من فضل ا   علي، ومن خلال قراءتي واستيعابي لبعض القضايا ومناقشة أهل العلم.

الشيخ أبو فيصل: علينا أن لا نخوض أكثر بالنقاش، وأظن أنك تسلك نهجاً مغايراً لنهجي، فأرجو أن لا نتوسع بالنقاش أكثر.

تبين لي فيما بعد أن صديقه أخبره بأن قريبك الشاب قد تشيع، وقد ناقش مرة الشيخ عبدا   وكادا أن يصطدما، فأرجو أن تغلق الحوار معه.

غادرت من عند الشيخ آسفاً، لأنّه تهرب من الحوار، ولم يحاول أن يبين الأدلة التي يعتمد عليها فيما يذهب إليه.

حوار مع صديقي الوهابي:

ذات يوم من شهر رمضان الكريم قرع جرس باب بيتنا، فأردت فتح الباب ولكن والدي كان بقرب الباب، فسبقني وفتح الباب، وإذا بشخص ذي لحية طويلة لابساً جلباب (جلاّبيه) يسأل عني، فلم يعرفه والدي ودخل إلى غرفتي وأخبرني عن وجود شاب متدين (ووصفه) يسأل عني.

قلت في نفسي: إذا كان الشيخ هشام فهو سيفصح عن اسمه، وثانياً والدي يعرفه.

خرجت إلى الباب ورأيته ورحبت به، ولقد عرفته ذلك الشاب الذي زارني وتحدث معي حول الشيعة وحذرني منهم حين كان يوماً يزور أحد مشايخ المنطقة، وهو الآن عاد لزيارتي بحلّة جديدة، لحية طويلة ولباس ما يسمى بـ (دشداشة، أو جلابية) قصيرة.

فسألته قائلا: مالي أراك بعد غياب طويل تعود لزيارتي بهذا الشكل، ماذا حدث لك أخبرني؟!

الصديق: الآن دعك مني فأنا في خير حال، ولكن أنت، لقد قمت

بزيارة الشيخ عبدا وإذا به يخبرني عن شاب في المنطقة تشرب ببعض الأفكار المسمومة، وعندما استفسرت عن ذلك الشاب عرفت أنه أنت، ماذا جرى لك؟ لم أتصور أن الأمور تصل بك إلى هذا الحد بحيث تجادل الشيخ في المسجد، وهل صحيح أنك تشيعت كما يقال عنك، وماهو السبب لذلك أخبرني هداك ا ؟

قلت: بالنسبة لي أنني في أفضل حال والحمد ، وقد أتاني ا فضلا كبيراً، وأما أمر الشيخ عبدا فأنا ناقشته ببعض الأمور للاستيضاح، وهو تململ ونبذني وأراد الإساءة إلي بمحضر طلابه، أما السبب فهو ابن كثير في كتابيه الأول "النهاية في الملاحم والفتن" والثاني "البداية والنهاية"، فمن النهاية وجدت طريقي إلى البداية الصحيحة والتمسك بحبل ا المتين والعترة النبوية المطهرة.

الصديق: كتاب ا آمنّا بذلك، ولكن العترة هذا شيء لا أدري ما أقوله لك، لن ينفعك إلاّ عملك والابتعاد عن الشرك، وعن ناس هم عباد لا ينفعون ولا يضرون شيئاً، وإياك والشرك.

قلت: منذ متى وأنت موجود داخل هذا التيار مع الشيخ عبدا ؟

الصديق: كنت أزور الشيخ زيارات متقطعة، ولكن من ثلاثة أشهر تقريباً أراد تكليفي بمهمة الدعوة في "دمشق" مع بعض الأخوة، وإنه سوف يساعدني في حلّ بعض الأمور.

قلت له: بالنسبة لكلامك السابق أنا معك، إن الإنسان لا يملك

لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا حياة ولا نشوراً، هذا دائماً دعاء ندعو به عقب صلاتنا، أما بالنسبة للعترة الطاهرة فهم عباد مكرمون عند ا عز وجلّ، وقد طلب منا ا سبحانه أن نحبهم ونتمسك بهم كما أن النبي (صلى ا عليه وآله وسلم) أمرنا بذلك.

الصديق: لا تتقول شيئاً على ا عز وجلّ، هذا لا يجوز، وليس هناك طلب بذلك، من قال هذا لك؟

قلت: أنا لا أتقول على أحد، ولكن هل تؤمن بالقرآن الكريم حجة؟

الصديق: نعم، كيف لا، ولكن لا تتعب نفسك، لا يوجد مثل ما تقول به.

قلت: إصبر قليلاً أنا لن أتعب نفسي ولا شيء، سأعطيك كتاب ا وأقول لك السورة ورقم الآية وتفتح عليها، وهي سورة الشورى آية ٢٣.

قال ـ وهو يتأمل القرآن الكريم ومن ثم يفتحه ـ: هل هذا القرآن سني أم شيعي؟

قلت وأنا مبتسم: يا أخي لا يوجد قرآن شيعي أو سني، هو كتاب واحد أنزله ا سبحانه على رسوله الكريم (صلى ا عليه وآله وسلم)، ثم إقرأ لي الآية وبصوت عالي.

الصديق: (قُل لا أَسأَلُكُم علَيه أَجراً إِلا الْمودةَ في الْقُربى ومن

يقْتَرِفْ حسنَةً نزِد لَه فيها حسناً إِن ا َ غَفُور شَكُور) (١) ماذا بها؟!
القربى هم الأقارب، والأهل علينا أن نحبهم ونساعدهم.

قلت: لن أقول لك ماذا أجمع عليه مفسروا الشيعة، ولكن أنقل لك ما في تفاسير أهل السنة الذين اتفقوا على أن هذه الآية نزلت في قربى النبي (صلى ا عليه وآله وسلم): علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام)، هم أقرب الناس برسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)، وبشأن الحسنة الواردة في سياق الآية: هي موالاتهم ومودتهم، وسأنقل لك من أحمد بن حنبل حديث يفسر ذلك.

الصديق: في مسند أحمد بن حنبل موجود تفسيرها، غير معقول!

قلت: إن أحمد بن حنبل له كتاب "فضائل الصحابة"، وقد ذكر هو والطبراني عن ابن عباس، قال: "لما نزلت (قُل لا أَسأَلُكُم علَيه أَجراً إِلا الْمودةَ في الْقُربى) من هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال (صلى ا عليه وآله وسلم): علي وفاطمة وإبناهما" (٢).

وهذا الحديث ما أكثر من أخرجه: كالسيوطي في الدر المنثور، والزمخشري في كشافه، ومحب الدين الطبري في ذخائر العقبى،

---

(١) الشورى: ٢٣.

(٢) فضائل الصحابة: ٦٦٩/٢ (١١٤١) في فضائل علي (عليه السلام)، المعجم الكبير للطبراني: ٤٧/٣ (٣٦٤١).

والشبلنجي في نور الأبصار (١) وابن حجر في الصواعق، وغيرهم كثيرون.

الصديق: أنا عندي كتاب "معجم الطبراني الكبير" سأبحث عنه، ولكن أظن أنكم تقولون هذا لتبينوا للناس أنهم قرابة الرسول.

قلت: إن من قبلك وفي محضر الرسول الأعظم (صلى ا عليه وآله وسلم) قالوا نفس الكلام الذي تقوله: إنّه مايريد إلاّ أن يحثنا على أقاربه، فهبط جبرئيل (عليه السلام) على النبي (صلى ا عليه وآله وسلم) وأخبره أنهم اتهموه بأنه يحاول أن يرفع منزلة أهله ويقرب الناس إليهم، فأنزل ا سبحانه: (أَم يقُولُون افْتَرى علَى الله كَذبا) (٢)، فنادى الناس: يارسول ا إنك صادق ونشهد بذلك، فنزلت الآيه الثانيه: (وهو الذي يقْبلُ التوبةَ عن عباده) (٣).

وتأمل يا أخي ثلاث آيات متتالية في نفس السورة، الأولى تأمر الناس بالاتباع، والثانية تخبر الناس أن ا قد علم ما وسوست أنفسهم به، والثالثة أن ا قبل توبتهم بعد أن اعتذروا للرسول (صلى ا عليه وآله وسلم)

---

(١) الدر المنثور: ٧٠١/٥، الصواعق: ٤٨٧/٢ باب الآيات الوارده في آل البيت، ذخائر العقبى: ٢٥.

(٢) الشورى: ٢٤.

(٣) الشورى: ٢٥.

وتابوا، فتأمل (١)!

ثم جاء وقت الأذان والصلاة..

فقلت: اللّهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد أن تصلّي على محمد وآل محمد، وأن تغفر لي وتهديني وإخواني الصراط المستقيم.

فنهض صديقي وكشف عن وهابيته قائلاً: ماذا أسمع، أتتوسل برسول ا وأهل بيته؟! هذا لا يجوز أبداً.

قلت: أنا أعذرك لقولك هذا، لأنك تجهل الكثير من الحقائق، وتأخذ الأحاديث حشواً دون استبانة، فهل سألت نفسك، هذا الشيخ من أين جاء بهذا الحديث أو تلك الرواية؟

طبعاً هذا ما جرى معي في السابق، ولكن ا سبحانه قيض لي من يساعدني ويرشدني إلى الصواب وطريق الحق، كما أرجو أن تستمع إلي وتتأكد من كلامي بما هو موجود عندك من الكتب أو أي طريقة تراها مناسبة، وأنا لا أضغط عليك حتى تقتنع فهذا شأنك، أريد أن أبين لك بالدليل والحجة كيف أن التوسل جائز من النبي (صلى ا عليه وآله وسلم) حياً وميتاً، ومن ثم أهل بيته الطاهرين، وحتى الصالحين.

وهذا عمر بن الخطاب توسل بالعباس عم رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)

---

(١) تفسير الدر المنثور للسيوطي: ٧٠١/٥.

وبالنبي الأكرم عندما قحط وحبس عنهم المطر، قال: "اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا" (١).

أضف إلى ذلك أن النبي (صلى ا عليه وآله وسلم) قال: "من زار قبري وجبت له شفاعتي" (٢)، وقال أيضاً: "من حج فزار قبري في مماتي كان كمن زارني في حياتي" (٣)، راجع الدارقطني للتأكد من كلامي.

بهت صديقي لما قلته ولم يحر جواباً.

إن مشكلتنا هو التقليد الأعمى، وا سبحانه محذرنا من هذا التقليد الأعمى، لأنه لا يؤدي بنا إلاّ إلى التهلكة والعياذ با .

طبعاً جرت مناقشة طويلة مع صديقي الوهابي بعد ذلك في تلك الليلة دامت أربع ساعات، ومن ثم عاود في اليوم الثاني ومعه صديق له، وذلك لأنه رأى قوة الأدلة التي أبينها، وهذه الحوارات التي جرت تم تسجيلها على صفحات وسأجمعها وأجعلها في كتاب صغير مخصص للحوار مع الوهابية.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الاستسقاء: ٢٤٢/١ (١٠١٠)، وكذا في كتاب الفضائل، وانظر: نيل الأوطار للشوكاني، باب الاستسقاء: ٨/٤ (١٣٤٧).

(٢) سنن الدار قطني، كتاب الحج، باب المواقيت: ٣٧٨/٢ (١٩٤)، وغيره.

(٣) مجمع الزاوئد للهيثمي، باب زيارة النبي (صلى ا عليه وآله وسلم): ٢/٤.

وقفة مع الدكتور شوقي أبو خليل:

غريب من الإنسان أن يكون متناقضاً في فكره وفي كتاباته، فمرة تجده يكتب كتاباً يتحدث عن آراء يهدمها الاسلام وفي أول الكتاب يتمثل بأقوال المستشرقين والمفكرين الغربيين، وفي آخر الكتاب ينصح الشباب العربي بعدم الاستماع إلى آراء المستشرقين، فهو يحمل مبدأين، وهذا يتنافى مع العقل.

وكتاباته دائماً يجعلها ردوداً على مؤلّفين يحاولون إظهار رؤية نظر الطرف الآخر، وهو يقوم بالدفاع المستميت على أُمور انتهت وتكاد تكون محسومة، لأن في عالمنا المعاصر كلّ إنسان واع ومثقف يفكر بموضوعية وعقلانية حرة بعيدة عن شوائب التعصب القبلي، يجد أن الحق مع علي (عليه السلام)وأهل البيت (عليهم السلام)، فمن يبحث في التاريخ بعقل حر يجد أن الإمام علي (عليه السلام)لاتوجد له أخطاء في أثناء حكمه أو حتى أوقات حكم أبي بكر وعمر وعثمان، بل كان يقوم بتقويمهم عندما يتبين له اعوجاجهم، وما أكثرها.

فتجد الإمام علي (عليه السلام) في فترة حكمه قد قضى على الطبقية التي

صنعها وخلقها الخلفاء الذين كانوا قبله، لأنه سار وفق نهج التشريع الإلهي والسنة المحمدية.

يقول الدكتور أبو خليل في كتابه "آراء يهدمها الاسلام" في قضية سقيفة بني ساعدة: "إن ماجرى يجري في كل دولة حكمها شوري ديمقراطي" (١).

أسأله: أين الشورى في بيعة أبي بكر؟! وكان الكثير من الصحابة غائبين عن مسرح السقيفة، وعدد آخر كان موجوداً لكنه معارض. وهم من المهاجرين ومن الأنصار، حتى أن التصويت لم يتم، كلّ ما تم أن عمر أخذ بيد أبي بكر ودعا الناس إلى بيعته، وعمر بنفسه يعترف بعد ذلك قائلا: "كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى ا شرها فمن عاد لمثلها فاقتلوه" (٢)، فلماذا يقتل من عاد لمثلها يادكتور إذا كانت البيعة شورى كما تدعي؟

وأين الديمقراطية التي تنادي بهـا وقد طرح سـعد بن عبادة أرضاً وكاد أن يداس بالأرجل لولا أفراد قبيـلته حالوا دون ذلك (٣)؟ وبعدما تمت البيعة قتـل لعدم رضـائه على ما تم فيها

---

(١) آراء يهدمها الاسلام: ٧٢.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المحاربين: ٢٨٨/٤ (٦٨٣٠)، الصواعق المحرقة: ٣١/١، وغيرهما.

(٣) مسند أحمد: ٥٦/١ (٣٩١)، تاريخ اليعقوبي: ٨٣/٢.

وادعوا أن الجن قتله (١)!

متى كان ا سبحانه يسلّط على البشر مخلوقات غيبية تقتل عباده من دون وجه حق؟

لقد افتروا على الجن ولصقوا التهمة بهم ليتهربوا من المسؤولية.

ولما أرادوا قتل الحباب بن المنذر، وقد قال له عمر: "إذن يقتلك ا "، وذلك بعدما طلب الحباب من الأنصار أن لا يبايعوا (٢)، فهل هذه هي الديمقراطية التي تدعي أنها وقعت أثناء السقيفة!

ثم ياحملة الأقلام لماذا لا تذكرون الحقيقة بصورة كاملة؟ ولماذا يا دكتور تتهرب من الأخباروالمصادر التي ذكرت استخفاف هارون الرشيد بالمسلمين وظلمه لأهل البيت (عليهم السلام) وللإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) والطالبيين، وتقول: "هذا من دس أبو الفرج الأصفهاني"!!

إذا كان الأمر كما تقول، فهذا تاريخ الطبري وابن الأثير الذي تستند عليهما في توثيق رواياتك يذكرون حادثة السقيفة كاملة وماجرى فيها، وأنا لم أحضر شيئاً من عندي، كما أن الصحاح كافة ذكرت ماجرى بالسقيفة، وكذا كتب السير مثل: "مروج الذهب"،

---

(١) تاريخ ابن خلدون: ٢٩٤/٢، أُسد الغابة لابن الأثير: ٢٨٤/٢، مجمع الزوائد للهيثمي: ٢٠٦/١، وغيرها.

(٢) تاريخ الطبري سنه ١١ هـ: ٢٠٣/٣، الكامل لابن الأثير سنة ١١ هـ: ٣٢٥/٢.

و "البداية والنهاية"، و"الإمامة والسياسة"، وغيرها.

ويقال: إن عمر أثناء خلافته هو أول من أوجد العسس أي الجواسيس.

وأنا أقول: صحيح هو أول من أوجد وظيفة العسس، ولكنه في الواقع أوجدها أثناء خلافة أبي بكر، لأنه أولا أراد معرفة ما يحدث من أمور في بلاط بني قحافة وما يقول الجمهور عن البيعة، وثانياً: إنّه أرسل وراء سعد بن عبادة عسساً ليعرف أين استقر حتى قام بقتله بعد ذلك!! فسعد لم يرحل من دون ضجيج كما قلت يادكتور.

وأخذ البيعة من الناس، والشاهد على ذلك قدوم أصحاب السقيفة إلى مسجد رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) ومن ورائهم المتحالفون معهم شاهرين السيوف ومعتجرين بالازر الصنعانية، يخبطون الناس ويأخذون البيعه منهم (١)!

هذه في الحقيقة دكتاتورية وليست ديمقراطية.

أما ماقلته: "إن عمر قال يوماً بحق الإمام علي (عليه السلام) أتعوذ با من معضلة ليس لها أبو الحسن"، فهذا ناتج عن قلّة علم عمر ودرايته بالأحكام، وأكبر دليل على ذلك هذه الرواية، وهي واحدة من عدة روايات تبين جهل عمر بالمسائل الفقهية:

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد: ٢١٩/١.

روى الحميدي في كتاب "الجمع في الصحيحين"، قال: "في خلافة عمر بن الخطاب جاءوا بخمسة زناة زنوا بامرأة واحدة، وقد ثبت عليهم ذلك، فأمر الخليفة برجمهم جميعاً، فأخذوهم لتنفيذ الحكم، فصادفهم الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وأمر بإعادتهم، وحضر معهم عند الخليفة عمر وسأله: هل أمرت برجمهم جميعاً؟ قال عمر: نعم، فقد ثبت عليهم الزنا، فالذنب الواحد يقتضي حكماً واحداً، فقال الإمام علي (عليه السلام): ولكن حكم كل واحد من هؤلاء الرجال يختلف عن حكم صاحبه.

قال عمر: فاحكم فيهم بحكم ا فإني سمعت رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)يقول: أعلمكم علي وأقضاكم.

فحكم الإمام (عليه السلام)عليهم بضرب عنق أحدهم ورجم الآخر وحد الثالث وضرب الرابع نصف الحد وعزر الخامس.

فاستغرب عمر من ذلك فقال له: كيف ذلك يا أبا الحسن؟!

فقال الإمام علي (عليه السلام): أما الأول فكان ذمياً زنى بمسلمة فخرج من ذميته، والثاني محصن رجمناه، وأما الثالث فغير محصن فضربناه الحد، والرابع عبد مملوك فحده النصف، وأما الخامس فمغلوب على عقله فعزرناه... فقال عمر: لولا علي لهلك عمر" (١).

---

(١) ليالي بيشاور: ١٠١٤، عن الجمع في الصحيحين.

أما بشأن الخلاف الذي جرى أيام عثمان بن عفان وقولك يا دكتور إنّها فتنة يهودية قام بها عبدا بن سبأ! فابن سبأ هذا لماذا لم يكن موجوداً أيام سقيفة بني ساعدة، أو يوم قتل عمر؟ فذاك أحرى، لأن كعب الأحبار اليهودي كان موجوداً في خلافة عمر وكان يفتي على هواه ويدس الإسرائيليات دون رادع له!

ومن هو عبدا بن سبأ الذي تزعمه والذي ظهر يوم مقتل عثمان؟! هل هو عمار بن ياسر (رضي ا عنه)؟ حاشاه من ذلك، أم محمد بن أبي بكر، أم أحد الحسنين؟ حاشاهما وجل قدرهما، أم غيرهم من الصحابة الذين كانوا غيارى على الاسلام والأمة، ورأوا بيت المال يقسم بين الأهل والخلان، والأراضي أصبحت ولايات أموية ومروانية؟!

لماذا لم يكن موجوداً أيام الجمل وصفين والنهروان؟! هل اختفى بمقتل عثمان، هل أرسل فقط بهذه المهمة مع فرض وجوده، ولماذا لم يذكر اسمه إلاّ في هذه الحقبة أو الفتنة؟!

لقد تبين لي أنه "شماعة" تعلقون عليه أخطاءكم، أو شخصية افتراضية في هذه المسرحية!

ونحن لا نظهر الإمام مندفعاً للسلطة لسببين: لأن السلطة هي التي جاءت إليه وقد قال ذات مرة إن هذه الخلافة هي عندي لا تساوي

عفطة عنز (١). وثانياً: هو صاحبها الحقيقي بنص ا سبحانه وتعالى ونص رسوله (صلى ا عليه وآله وسلم)، ولو كان أرادها بالدم لكان قام بها، ولكن قال (عليه السلام): "لأسالمن ماسلمت أمور المسلمين" (٢)، وهو سالم ليس لضعف، لأنه علم أن بالنهاية ستأتي، إليه وإن حقه المهتضم لن يضيع عند ا سبحانه، وعندما جاءته الدنيا فاتحة ذراعيها قال لها: "غري غيري إليك عني" (٣).

هذه عظمة الإمام علي (عليه السلام)، فالكل يحتاج إليه وهو لا يحتاج إلى أحد، كيف لا، وهو باب مدينة العلم (٤)، وهو قائد سفينة النجاة (٥)، وهو نفس النبي (صلى ا عليه وآله وسلم) (٦)، وهو الإيمان كلّه (٧) فتركه للخلافة كان أن لا

---

(١) لسان العرب: كلمة (عفط)، تاج العروس للزبيدي: ١٨٤/٥.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد: ١٦٦/٦.

(٣) نهج البلاغة، الكلمات القصار: ٧٧.

(٤) قال رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم):"أنا مدينة العلم وعلي بابها"، أنظر: مناقب الخوارزمي: ٨٣ (٦٩)، مستدرك الحاكم: ٣٣٩/٣ (٤٦٩٥)، الجامع الصغير للسيوطي: ٤١٥/١ (٢٧٠٥).

(٥) قال رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم): "مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق"، أنظر: المعجم الكبير للطبراني، والدر المنثور للسيوطي، وتاريخ بغداد، و....

(٦) أنظر: تفسير آية المباهلة.

(٧) قال رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) يوم الأحزاب عندما برز الإمام علي (عليه السلام) إلى عمرو بن

<=

تهرق محجمة دم من أجله وهو الأحق بها، ويوم بيعة عثمان رفض إلاّ أن يسير بنهج القرآن الكريم وسنة رسوله (صلى ا عليه وآله وسلم) وترك سنة الشيخين، فعادوا وغصبوها منه.

والخلافة مسؤولية لا شك كما قلت، ولكن هناك من يتحمل المسؤولية وهو قادر عليها، فهو بأمر ا سبحانه قام بتبليغ سورة براءة إلى مشركي مكة لعلمه جلّ وعلا أن أبابكر غير قادر على ذلك، والامام علي (عليه السلام) بعد رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) له القدرة والبلاغة والشجاعة على تبليغها.

وأما الخلاف الذي ذكرته في الجمل وصفين وقلت إنه كان سياسياً ولم يكن دينياً!

أقول: كان الخلاف دينياً وسياسياً معاً، يجب أن لا يفترق الدين عن السياسة، لأنهما واحد، وهو حكم واحد للأمة.

نعم، أولا: جرى التلاعب بسنة وأقوال رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)، وثانياً: جعل الدولة حكراً على بني عدي وتيم وغيرهم من المتنفذين.

جاء طلحة والزبير وقالا للإمام: بايعناك على أساس أن نلي شيئاً

=> ود العامري: "برز الإيمان كلّه إلى الشرك كلّه"، أنظر: ينابيع المودة للقندوزي: ٢٨١/١، شرح النهج لابن أبي الحديد: ٢٦١/١٣.

من الخلافة (١) فهذا سياسياً!!

وعندما خرجت عائشه بقميص رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)، وقالت: هذا قميص رسول ا وحذاؤه لم يبليان وعثمان هذا قد أبلى سنته، اقتلوا نعثلا فقد كفر (٢)، بماذا كفر حسب رأيها! هل كفر بالسياسة؟! لا بل كفر بسنة النبي، ومعنى ذلك أن السنة لها واجب وقدر وضرورة للعمل بها، ومن يتركها يخرج من ربقة السنة.

فأساس الخلافة أن يكون الخليفة عادلا فقيهاً، شجاعاً غالباً لهواه، منصوصاً عليه من ا ورسوله (صلى ا عليه وآله وسلم).

قال رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم): "لا تصلح الإمامة إلاّ لرجل فيه ثلاث خصال: ورع يحجزه عن معاصي ا ، وحلم يملك غضبه، وحسن الولاية على من يلي حتى يكون لهم كالوالد الرحيم" (٣).

يعني أن لا يكون فضاً غليظاً يخشى منه الناس، فالهيبة تأتي من الفكر السليم والفقه الكامل، والشجاعة والعفو عند المقدرة.

وقال الإمام علي (عليه السلام): "من نصب نفسه للناس إماماً، فليبدأ بتعليم

---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ٧٠/١.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد: ٢١٥/٦، تاريخ الطبري ٤٥٩/٤، الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ٧٢/١.

(٣) الكافي للكليني: ٤٠٧/١.

نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه" (١).

البحث عن الدكتور شوقي أبو خليل:

بلغني أن معرضاً للكتاب يقام في المركز الثقافي "بدوما"، فذهبت إليه للاستطلاع والبحث عن شيء ينفعني أو يطرح أمراً معيناً أجد ضالتي فيه، وهذا المعرض كان فقط لدار نشر واحدة وهي دار الفكر، وبعد البحث وصلت إلى إحدى الطاولات، وإذا بي أجد كتباً عديدة للدكتور رمضان البوطي وكتباً ُأخرى للدكتور شوقي أبو خليل، وقد شدني عنوان لم أجد بداً من مد يدي وأخذه، ومن ثم فتحته، ونظرت إلى الفهرس لأرى المواضيع التي فيه، وكان عنوان الكتاب: "من ضيع القرآن".

قرأت المواضيع في الفهرس فلم أجد عنواناً واحداً يشير إلى أن الإمام علي (عليه السلام)كان ممن حفظ القرآن، أو أن الإمام (عليه السلام) كان من أهم المحدثين للأحاديث النبوية الشريفة! فهو يذكر بكتابه أسماء العديد من الصحابة كان لهم الفضل بحفظ القرآن الكريم، وآخرين منهم كانت لهم اليد الطولى في الحديث والمحدثين مع بعض التابعين، ثم يذكر بعض الحركات التي شوهت الإسلام وأضاعته، وبدأ من بين سطوره فيما بعد أنه يلمز ويشير إلى طائفة معينة، فقلت في نفسي:

---

(١) نهج البلاغة الخطبة ٧٣، شرح محمد عبده: ١٦٦/٣.

إلى متى يبقى هذا التعتيم والتضليل؟ وإلى متى نسكت عن الحقيقة ونتجاهلها؟ على الفور توجهت إلى محاسب الصندوق وكان حوارنا كالتالي:

قلت: السلام عليكم ورحمة ا وبركاته.

المحاسب: وعليكم السلام ورحمته وبركاته.

قلت: إذا سمحت لي بمعرفة ثمن الكتاب؟

المحاسب: مئتان وخمسون ليرة، هل أعجبك المعرض ونوعية الكتب؟

قلت: نعم، لا بأس به مشكورين على جهدكم المبذول.

المحاسب: لا شكر على واجب، نحن نقوم بواجب نشر الكلمة الهادفة والمسؤولة.

قلت: لكن الأسعار عالية بعض الشيء.

المحاسب: أنت تعرف أن ارتفاع الأسعار يرتبط بسعر الورق وطباعته ونشره للكتب.

قلت: هل أستطيع الحصول على عنوان الدكتور شوقي أبو خليل أو رقم هاتفه؟

المحاسب: الصحيح أنه ليس لديه عنوان بريدي للمراسلة، ولكن هل الأمر مهم؟

قلت: نعم أريد طرح بعض الأسئلة عليه إذا سمح لي وشخصياً.

المحاسب: يمكنك أن تراسله عن طريقي وأنا بدوري أنقل الرسالة له، بشرط ذكر اسمه في الملف البريدي.

قلت: أشكر لك مساعدتك، ممكن إعطائي العنوان.

المحاسب: دار الفكر صندوق بريد... يصل ليد علاء آل رشي ومنه ليد الدكتور شوقي أبو خليل.

قلت: أرجو أن توصل الرسالة عندما أرسلها لتقع بيده، مع شكري لك أخ علاء ووداعاً.

المحاسب: ستصل بإذن الله وعلى الرحب والسعة، ومع تحياتي لك مع السلامة.

خرجت وأنا في الطريق بدأت بتصفح الكتاب.

مراسلة الدكتور من حلب:

بعد فترة من الزمن قرأت كتاب الدكتور وقررت مراسلته وطرح بعض الأسئلة عليه، ولكن قبل ذلك كان علي التفكير بالمنهجية والأسلوب الذي أتبعه، وقمت باتصال مع أحد السادة العلماء وطرحت القضية عليه، فطلب مني أن أكون هادئاً وأسئلتي موضوعية بعيدة عن الاستفزاز، فوافقت لوجود الرغبة ذاتها في نفسي، فنحن أولا وآخراً نريد خدمة الإسلام والرسول الكريم وأهل بيته، فحررت الرسالة ثم أرسلتها.

نص الرسالة التي أرسلتها للدكتور:

بعد حمد ا سبحانه والصلاة على نبيه وآل بيته:

وبعد أن عرفت عن نفسي بدأت بسرد الموضوع:

الأستاذ الدكتور شوقي أبو خليل المحترم.

السلام عليكم ورحمة ا وبركاته تحية إسلامية عربية من أخ مسلم إلى أخ مسلم.

وبعد، أرجو أن تتقبل رسالتي بصدر رحب وأن تقرأها وتجيبني بموضوعية، بعيداً عن التعصب وبعيداً عن المذهبية والطائفية التي لا تؤدي بنا إلاّ إلى الفرقة والتباغض، ونحن في وقتنا الراهن بحاجة إلى الوحدة الاسلامية ونبذ المذهبية، فمصيرنا مشترك وهدفنا واحد وهو إعلاء كلمة الحق ونشر الإسلام بصورته الصحيحة والتي غابت عن الكثيرين، ونشر الإسلام في جميع أنحاء الأرض، لأن الإسلام جاء بالسلام وإقامة الحق ونصرة الضعيف والوقوف أمام الظلمة والمستبدين والمضلّين الذين يريدون إطفاء نور ا بأفواههم وا متم نوره رغم كيد الكائدين ومكر الماكرين.

أخي الكريم، هناك عدة أسئلة أرجو أن تجيبني عليها بعد أن علمت من الأخ علاء آل رشي أنك تجيب على كل من يسألك أو يراسلك برحابة صدر، وبما أنني قرأت كتابك "من ضيع القرآن" وكنت سابقاً من الذين يبحثون ويدققون، وأجمع الكتب

والمخطوطات الإسلامية التاريخية، بحثاً عن سبب الفجوة التي حصلت وقسمت الإسلام، ومن فضل ا علي أنني وجدت ضالتي وتوصلت إلى الحقيقة الضائعة والحبل الممدود الذي أرادنا ا سبحانه ورسوله (صلى ا عليه وآله وسلم) التمسك به واتباعه، وقد قام بقطعه من أراد الدنيا وفصل الدين عن السياسة وقتها وانتزع الحق من أصحابه ونكران فضلهم ومشروعيتهم، حتى أصبح حالنا في هذا الزمان ضعفاء متفرقين وبعضنا جواسيس على بعض، وأنت تعرف من أقام الجواسيس في الإسلام على المسلمين، وأقام القتل على مجرد الشبهة والظن!

تفاجأت حين قرأت كتابك المذكور أعلاه أنك أغفلت وظلمت أئمة أحق أن يذكروا، ووجدت أحاديث عندك يشوبها الدس، وبين سطورك تلميح إلى فئة معينة، فهل هو عن قصد، أم عن توجهات طائفية، أم ظلم، أم غض بصر كما غضه الكثيرون من الكتّاب وللأسف؟!

أ ـ من برأيك ضيع القرآن، أرجو أن تجيب بصدق؟

ب ـ من الذي حفظ وحفظ القرآن بحق؟

ج ـ لماذا أغفلت ذكر سيدنا علي (عليه السلام) عن موضوعك ولم تجعل له باباً واسعاً؟

د ـ ألم تعلم أن بعض الذين ذكرتهم في باب من حفظ القرآن أنهم

أحرقوا المصاحف وطلبوا بقاء واحد وذلك لغاية في نفوسهم وأنت تعلم بذلك؟!

هـ ـ أين سيدنا جعفر الصادق (عليه السلام) من كتابك وباب علماء الحديث ورواتهم؟! ألم يكن أستاذاً ومعلماً وإماماً وفقيهاً لأكثر من أربعة الآف طالب في مدرسته، ومن بينهم أبو حنيفة، ومالك، وسفيان الثوري، وجابر بن حيان، وآخرون كلّهم خرجوا ولسانهم يقول: حدثني جعفر بن محمد؟!

و ـ من أين جئت بحديث (من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة مات ميتة جاهلية)؟

ألا تعلم أن هذا الحديث وضع بعد عام الجماعة المفَرق والكثير من الأحاديث الموضوعة.

ز ـ ما الفرض من هذا التلميح بين السطور، هل لغاية دنيوية أو عز أو من هذا القبيل؟!.

ح ـ أين دليلك على أن هؤلاء هم من حفظ القرآن، ومن خلال أي مصدر أو مرجع أنا مستعد للرجوع إليه؟

ط ـ لماذا لم تذكر الوهابية في باب الحركات التي شوهت الإسلام؟!.

ي ـ لماذا لم تكمل مشوارك وتذكر الحجاج أيضاً، أو السفاح، أو يزيد اللعين، أو آل أبي سفيان الطلقاء؟!

هذا حرام يارجل!

ك ـ كيف تسقط حقّ أهل البيت (عليهم السلام) وتنكرهم وتعرف فضلهم؟!

أرجو أن تجيبني هداك ا .

وأخيراً أرجو من ا سبحانه أن يوفقنا إلى مصلحة وخدمة الإسلام والرسول الأعظم وأهل البيت (عليهم السلام) أصحاب الولاية وآية التطهير وأمان أهل الأرض.

وأخيراً نرجو الرد على الرسالة ولكم الشكر.

خادم أهل البيت (عليهم السلام)
باسل بن خضراء ـ حلب

الرد كان مفاجئة لي:

غابت الرسالة أسبوع كامل ثم جاءت الإجابة، وأرجو أن تتصوروا ماذا كانت أجابته، حررت له صفحتين ونصف قطع كبير واثني عشر سؤال، لم يجبني إلاّ على سؤال واحد فقط.

والرسالة كانت عبارة عن قطعة من الورق بها أربعة أسطر كل سطر أربع كلمات، قال:

"أنا لن اجيب عليك، أنت تحب الجدال الكثير، وأنك يبدو لا تعرفني جيداً، وإذا أردت معرفتي أسأل عني طلبتي سنة ثالثة كلية الشريعة في حلب".

طبعاً لم يترك كلمة شكر ولا حتى السلام عليكم!

لم أكن أتوقع أن تكون إجابة دكتور في التاريخ هكذا، فأنا لم أسيء لشخصه، فقط أردت تذكيره بشيء هام.

ثم إنني سألته اثني عشر سؤالاً لم يكلف نفسه بالإجابة عليها سوى السؤال الأخير، هو أرجو أن تجيبني هداك ا ، وأجابني بهذا التقريع والأسلوب!

أهكذا يتم التعامل مع الدكتور أو الأستاذ من قبل طلبته في الجامعات والكليات، هل هذا خلق الإسلام؟!

الرد على الرد:

بعد أن وصلني الرد من الدكتور وتفاجأت بأسلوبه، اتصلت هاتفياً بأحد السادة المؤلّفين في "دمشق" وكان على علم برسالتي، فأخبرته بقدوم الرد وقرأته عليه، فاستغرب مثلي من أسلوب الدكتور في الرد.

ثم مضى يومان وكان لدي فرصة عمل في إحدى الشركات "بحلب"، ذهبت إليها لإجراء مقابلة واختبار ثم عدت إلى المنزل (١)، وفي طريق عودتي لمحت كتاباً على واجهة إحدى المكتبات في

---

(١) تم انتقالنا إلى مدينة حلب بعض الوقت لأسباب طبيعة عملي، وقد سررت جداً لسببين: أولها لأنها مسقط رأسي، وثانيها كونها كانت سابقاً مركز دولة شيعة أهل البيت (عليهم السلام)، فكان يهمني الاطلاع على تاريخها.

"حلب" وهي مكتبة الثقافة، وهذا السفر القيم للدكتور شوقي أبو خليل ويحمل عنوان "هارون الرشيد"! اشتريت الكتاب وعدت إلى منزلي وبدأت بقراءته، وانتهيت من قراءته في يومين.

ثم أخذت دفتر الرسائل وقلم وبدأت أحرر له رداً على رده المتواضع، فكتبت في ثلاث صفحات طوال وحاولت أن لا أخرج فيه عن أدب الحوار، بدأت بأوله بالسلام على الدكتور وفوراً قلت له: فضيلة الدكتور أحيطك علماً بأنني لست بحاجة لسؤال أحد عنك طالما جاءني ردك مسرعاً وبهذا الأسلوب، فرسالتك تحدث عن شخصيتك وتبين لي ما أجهله منك.

ثم بدأت أعيد بعض الأسئلة عليه، وبدأت بسؤاله عن هارون الرشيد:

إنك تذكر في كتابك عن فضل هارون وتسيء إلى كتّاب كتبوا بأمانة عن عصره!

وأريد أن أسألك عن قصر البنات الموجود في الرصافة لمن هذا، أليس لهارونك؟! ألا يحج مئات الأجانب من دولهم وأراضيهم ليأتوا ويشاهدوا عظمة عصر وحرية هارون، كيف أنّه بنى قصراً جميلا بلغ عدد غرفه (٣٦٥) غرفة في كل غرفة كانت جارية بانتظاره يدور عليهم بعدد أيام السنة كل يوم واحدة، وعندما تنتهي السنة يستبدل الوجوه القديمة بأخرى!!

وأنا لم أحضر شيئاً من عندي، هذا التاريخ موجود، والقصر مازالت معالمه موجودة، فلماذا لم تذكر سابقته في كتابك، وعددت فيه الكثير من أعمال هارون؟!

وقلت له: يجب أن نسميه بعد كلّ هذه الأعمال هارون غير الرشيد!

وفي النهاية أرجو أن تتقبلوا فائق الاحترام.

تركت عنواني ورقم هاتفي على الرسالة وطلبت منه إذا سمح الوقت له أن اجتمع به، وطبعاً له القرار أن يحدد موعداً وساعة الاجتماع، وختمتها بالشكر الجزيل.

وصول رده إلي:

كنتُ في أشد الشوق لمعرفة رده، وهل سيحدد موعداً للقاء؟

ووصل الرد إلي وليته لم يصل! لقد كان أقسى من سابقه:

"يبدو أنك لا تفهم معنى النقاش، وأنا لن أرد عليك، وخير الكلام ماقل ودلّ، وأنا بانتظارك مع هاروني في المكتب".

لا يوجد شكر، وهذا ماكان من رده، فانظروا ياناس...!!

تجهزت بعد فترة لزيارته في "دمشق" وحضرت بعض الأسئلة التي أحببت أن أقدمها إليه، ولكن حدث معي أمر أربك عملي وغير فكرتي تماماً.

لقاء في مشهد الإمام الحسين (عليه السلام):

عندما أقمت في مدينة "حلب" حرصتُ على الذهاب إلى مشهد رأس الإمام الحسين (عليه السلام) في جبل الجوش أو جبل النحاس، فبعد أن جرت واقعة كربلاء الأليمة وحزت رؤوس الشرفاء، ووضع رأس الإمام الحسين (عليه السلام)على رمح، وبدأوا بالرحلة الأليمة ـ مسير السبايا ـ بدءاً من "كربلاء" مروراً بعدة مناطق، ومن ثم مدينة "حلب" وصولا إلى "دمشق" إلى الطاغية يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ابن الطلقاء، وقصة المشهد طويلة سأذكرها لاحقاً، لأنني رأيت هناك معجزة.

المهم أنني كنت أذهب دائماً هناك لحضور الصلاة اليومية وصلاة الجمعة، ومن بعدها كنتُ أزور ضريح الشيخ إبراهيم الضرير (رحمه ا)وأسكنه فسيح جنانه، لما قدمه في سبيل الرسول وأهل البيت (عليهم السلام) وخدمة للأمة الإسلامية من رعاية لهذا المشهد والمواقف الأخرى التابعة له.

وكنت أذهب بعدها إلى زيارة الشيخ إبراهيم نصرا في مكتبه

لأستفيد من علمه المستمد من تراث أهل البيت (عليهم السلام)، وكان دائماً رحب الصدر يستقبل الناس ويتفقد أمورهم ويساعدهم على حل الكثير من مشاكلهم والاجابة على أسئلتهم، ومن ثم كنت أذهب إلى المكتبة العامة بالمسجد لأستعير بعض الكتب التي تنقصني، فتكونت صداقة وأخوة بيني وبين مسؤول المكتبة الأخ "أبو ياسر" وبعض الأخوة هناك، مثل الأخ عبد الجواد الخطيب، والأخ جمال، وهما يعملان في خدمة المشهد.

دخلت إلى المكتبة في أحد أيام الجمع لأستعير بعض الكتب، فوجدت شخصاً يبدو أنه يحضر أول مرة إلى المشهد، وتقدم الرجل إلى مسؤول المكتبة..

وسأله عن أحد الكتب.

فأجابه مسؤول المكتبة بعدم وجوده الآن.

وكنت حاضراً، فتقدمت إلى الأخ..

وقلت له: هل حاجتك ماسة للكتاب؟

فأجاب الرجل: نعم أريد الاطلاع على فكر أهل البيت (عليهم السلام).

فطلبت منه الخروج من المكتبة حتى لا نؤثر على أحد بكلامنا، وفي الطريق طلبت منه معرفة اسمه.

وقلت: أعرفك على نفسي: أنا باسل الخضراء من سكان "حلب" حالياً.

الرجل: أسمي جمال باوي من سكان "اعزاز"، وهي منطقة ريفية تابعه "لحلب" متاخمة لحدودنا مع "تركيا".

قلت: يبدو أنّك لأول مرة تحضر إلى المشهد هنا، لأنني دائم التردد اليه ولم أرك فيه سابقاً؟

الأخ جمال: هذه المرة الثانية، فالزيارة الأولى كانت منذ زمن طويل، وأنا سني وأريد قراءة كتب الشيعة.

قلت: يبدو أنّك تعمل في مجال الزراعة على ما أعتقد؟

الأخ جمال: لا، أنا أعمل مؤذناً لمسجد في القرية، وأحياناً ألقي دروساً في المسجد على بعض الشباب.

قلت: إذا أردت بعض الكتب من فكر أهل البيت (عليهم السلام) أستطيع تأمينها لك، وهذا عنواني ورقم هاتفي، أرجو أن تزورني في المنزل لاعطائك مايلزم.

الأخ جمال: شكراً لك، فأنا لم أقرأ سابقاً سوى كتاب "المراجعات"، وأرغب بالمزيد من الكتب لأتعرف عن الفكر الإمامي، والآن أرجو الاذن منك، فمنزلي بعيد ويأخذ وقتاً للوصول إليه، أزورك لاحقاً.

قلت: لك ماتريد وأتمنى أن نجتمع سوية مرة ُأخرى، وإلى اللقاء.

انتهى اللقاء، وحصلت بعد ذلك عدة لقاءات في منزلي وفي منزله بالقرية، وكان أبرزها ما جرى بيننا من حوار في منزلي.

حوار مع الأخ جمال حول مواضيع متعددة:

بعد لقاءات متفاوتة الزمن حضر لزيارتي الأخ جمال وهو منفعل..

وقال لي: إنّني أنصحك أن تفكر قليلاً في مسألة الشيعة، فهم يقولون إن الحسنين أبناء رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)، وهما أبناء علي وأبناء فاطمة بنت رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم).

قلت: السؤال هذا ذكرني برواية قرأتها، وهي مناظرة بين الحجاج وفقيه العراق يومها يحيى بن يعمر، وسأورد لك نص المناظرة ليتبين لك الأمر:

الحجاج يسأل الفقيه: أنت تزعم أن الحسن والحسين (عليهما السلام) من ذرية رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)؟!

قال: ما أنا زاعم بذلك، بل أقول الحق.

الحجاج: بأي حق تقول؟

الفقيه: بكتاب ا عز وجلّ.

الحجاج: هذا مما لم أكن أسمع به.

ثم فكر الحجاج ملياً، ثم قال ليحيى الفقيه: لعلك تريد أن تقول هذه الآية: (فَمن حآجك فيه من بعد ما جاءك من الْعلْمِ فَقُلْ تَعالَواْ نَدع أَبنَاءنَا وأَبنَاءكُم ونساءنَا ونساءكُم وأَنفُسنَا وأَنفُسكُم ثُم نَبتَهِلْ

فَنَجعل لعنَةُ ا ـِ علَى الْكَاذبِين) (١)، وأن رسول ا خرج للمباهلة مع علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام)أمام وفد نجران أو نصارى نجران.

فقال الفقيه: وا إنّها لحجة بالغة، ولكن ليس منها أحتج لما قلت.

فاصفر وجه الحجاج وفكر ملياً، ثم رفع رأسه إلى يحيى قائلا: إن جئت من كتاب ا بغيرها فلك عشرة الآف درهم، وإن لم تأت بها فأنا في حل من دمك.

قال الفقيه: قال ا عز وجلّ (ومن ذُريته داوود وسلَيمان) (٢)من عنى بذلك يا حجاج؟

الحجاج: إبراهيم (عليه السلام).

الفقيه: فداود وسليمان من ذريته؟!

الحجاج: نعم.

الفقيه: وقال عز وجلّ أيضا (وَأيوب ويوسفَ وموسى وهارون وكَذَلِك نَجزِي الْمحسنين* وزكَرِيا ويحيى وعيسى) (٣).

وقال الفقيه: ومن أين كان عيسى من ذرية إبراهيم (عليه السلام) ولا أب له؟!

---

(١) آل عمران: ٦١.

(٢) الأنعام: ٨٤.

(٣) الأنعام: ٨٤ ـ ٨٥.

الحجاج: من قبل أمه مريم (عليها السلام).

قال الفقيه: فمن أقرب مريم (عليها السلام) من إبراهيم (عليه السلام) أم فاطمة (عليها السلام) من محمد (صلى ا عليه وآله وسلم)؟ وعيسى من إبراهيم أم الحسن والحسين (عليهما السلام) من رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)؟

فكأن الحجاج ألقم حجراً، ونادى: أطلقوا سراحه وادفعوا إليه عشرة الآف درهم (١).

فقلت: ما رأيك الآن يا أخ جمال؟

الأخ جمال: الحقيقة أنني أول مرة أسمع هذه المناظرة، وكأنني لم أقرأ القرآن، ولكن أنتم تقولون: إن هناك آيه التطهير نزلت في أهل البيت، والمعلوم أن أهل البيت هم زوجات النبي (صلى ا عليه وآله وسلم)، وأنتم تأولون الآيات على هواكم ورأيكم، وإذا تأملت في الآية وماقبلها ومابعدها تجدها موافقة لذكر نساء النبي (صلى ا عليه وآله وسلم)؟!

قلت: أعلمك أن الأمة الاسلامية أجمعت بأن الآية ممكن أن يكون أولها شيء وأوسطها شيء وآخرها شيء آخر، وقد روى علماء أهل السنة أن هذه الآية نزلت في بيت السيدة أم سلمة رضي ا عنها ورسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) في البيت ومعه علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام)، وقد جلّلهم بعباءة خيبرية، وقال: "اللهم هؤلاء أهل

---

(١) العقد الفريد للأندلسي: ٤٨/٢، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٤٤١/٤.

بيتي، فأنزل ا سبحانه (إنما يريد ا ُ لِيذْهب عنكُم الرجس أَهلَ الْبيت ويطَهركُم تَطْهيراً) (١)، فتلاها رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)، وأرادت أم سلمة رضي ا عنها أن تدخل معهم في العباءة فمنعها رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)، فقالت: يا رسول ا ألست من أهل بيتك، فقال لها إنك إلى خير (٢)، ولم يقل لها إنك من أهل بيتي.

الأخ جمال: هل ذكر ذلك الذي ذكرته أحد من أعلام السنة؟

قلت: نعم، ذكره الحاكم في المستدرك، والسيوطي في الدر المنثور، وابن حجر العسقلاني في الاصابة، والعلاّمة الكنجي الشافعي في كفاية الطالب، وغيرهم كثير (٣).

---

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) والجدير بالذكر أن عائشة روت هذا الحديث أيضاً، فقد أورد ابن عساكر في تاريخه عن عمير بن جميع قال: دخلت مع أمي على عائشة، قالت: أخبريني كيف كان حب رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) لعلي؟ فقالت عائشة: كان أحب الرجال إلى رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)، لقد رأيته وقد أدخله تحت ثوبه وفاطمة وحسناً وحسيناً، ثم قال: "اللهم هؤلاء أهل بيتي، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً"، قالت: فذهبت لأدخل رأسي، فدفعني، فقلت: يارسول ا أو لست من أهلك؟ قال: "إنك على خير، إنك على خير".

راجع: تاريخ دمشق: ٢٦٠/٤٢، وابن كثير في تفسيره: ٤٨٩/٣، وأحمد بن حنبل في مسنده: ٢٩٢/٦ (٢٦٥٥١)، وابن عساكر في تاريخه: ١٤٠/١٤.

(٣) مستدرك الحاكم: ٣٥٧/٣ (٤٧٦٣)، الدر المنثور: ٣٧٧/٥، الاصابة:

<=

ولقد وصل هذا الحديث حد التواتر عند أهل السنة، والمخالف الذي لم يذكره عد شاذاً عند أعلام السنة.

ونحن نتّبع هؤلاء المطهرين ونتعبد بالمذهب الجعفري نسبة للإمام السادس جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام)، ونوالي باقي الأئمة الستة الآخرين إلى تمام الاثني عشر إمام بنص رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)خاتمهم القائم عجل ا فرجه.

الأخ جمال: ولكن المذاهب أربعة، وهي مذهب أبي حنيفة، والشافعي، ومالك، وأحمد بن حنبل، فمن أين جاء المذهب الخامس؟

قلت: إن المذاهب الإسلامية هي أكثر من أربعة، وكان لهم أعلام أيضاً، أمثال الأوزاعي، وسفيان الثوري، والمعتزلة، وغيرهم.

الأخ جمال: لكن الثابت عندنا أن هؤلاء الأئمة وصلوا درجة الاجتهاد في الفقه وإبداء الرأي وهم على زهد وتقوى، فوجب على الجميع اتباعهم والأخذ بقولهم.

قلت: إذن أنت تقصد بأن هذه الصفات خاصة لهؤلاء الأربعة فقط، ومعنى ذلك أنك تشكك بباقي أعلامكم، كأصحاب الصحاح والسير والكلام، فهل هذا معقول؟!

<= ٥٦/٨، تحفة الأخبار بترتيب شرح مشكل الآثار للطحاوي: ٤٧٠/٨ ـ ٤٧٦، إرشاد الفحول للشوكاني: ٨٣.

إن هذه المذاهب الأربعة تم تثبيتها بقرارات سياسية وهذا ثابت، فما معنى ذهاب الأوزاعي والثوري هل كانوا ضعفاء في الرأي؟! حتى أن أصحاب المذاهب الأربعة لم يثبتوها؛ بل جاء تلامذتهم وأقروها مع قرار سياسي لغاية، وهي دفع أهل البيت (عليهم السلام) عن الفتوى والاجتهاد وتقريب الناس إليهم، وهذا ما أراد فعله سلاطين الطغيان لإبعاد الناس عن أهل البيت (عليهم السلام) ولتثبيت دعائم دولتهم بالقهر والغلبة.

لقد قال رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم): "إنّما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق" (١)، والإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام)سيد هذه المذاهب بلا منازع، والدليل على ذلك: حاجة الكلّ له وهو لا يحتاج إلى أحد، وقد تتلمذ على يده أو تخرج من عنده أربعة آلاف كلهم يقولون: حدثنا جعفر بن محمد.

فمن تلامذته أبو حنيفة وله كلمة شهيرة: "لولا السنتان لهلك النعمان" (٢)، أي: لولا السنتان التي حضر فيها أبو حنيفة عند الإمام الصادق (عليه السلام) لكان من الهالكين ولم يعرف الفقه.

كما أن مالك قال عنه: "ما رأت عين ولا سمعت أذن ولا خطر

---

(١) مستدرك الحاكم: ٣٦١/٣ (٤٧٧٨)، فضائل الصحابة لابن حنبل: ٧٨٥/٢ (١٤٠٢)، مجمع الزوائد للهيثمي: ١٦٨/٩.

(٢) مختصر التحفة الاثنى عشرية للآلوسي: ٨.

على قاب بشر أفضل من جعفر بن محمد" (١).

وهؤلاء الاثنان تلقى على أيديهما العلم كلا من الشافعي وأحمد ابن حنبل.

وجابر بن حيان رائد الكيمياء هو تلميذ الإمام الصادق (عليه السلام).

وقد خاطب الإمام الصادق (عليه السلام) أبا حنيفة قائلا: "يا أبا حنيفة لا تقس الدين برأيك فإن أول من قاس إبليس لعنه ا قال خلقتني من نار وخلقته من طين" (٢).

وسأعطيك كتاباً لأحد العلماء يناقش المذاهب الأربعة مع مذهب الإمامية وهو: "الإمام الصادق والمذاهب الأربعة".

الأخ جمال: شكراً لك، ولكن هناك أيضاً سؤال حول تعظيم الشيعة للقبور ويصلّون عندها وهذا لا يجوز وهو بدعة، وأنت تعلم ما هي البدعة؟!

قلت: البدعة هي أن يضيف المرء إلى الدين ما ليس فيه، ولكن أخرج صحيح مسلم حديثاً أن رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) زار قبر أمه آمنة (رضي ا عنه)بالقرب من المدينة (٣)، وزار البقيع واستغفر للمدفونين هناك (٤)،

---

(١) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، نقلا عن التهذيب لابن حجر.

(٢) الحدائق الناضرة للبحراني: ٦١/١، المحاسن للبرقي: ٢١١/١ (٨٠).

(٣) صحيح مسلم: ٥٩/٢٠ (٩٧٦)، السنن الكبرى للبيهقي: ١٢٧/٤.

(٤) صحيح مسلم: ٥٥٨/٢ (٩٧٤).

والزيارة عند الشيعة من علائم الإيمان.

فالشيعة يزورون قبور الأئمة من أهل البيت، والصلاة هناك هي عبادة وحده، والمؤمنون يسألون حوائجهم من ا تعالى ويبتهلون إليه خاشعين، ألا تزور أنت أمك أو أحد اقربائك وتدعو له وتستغفر ا ؟!.

الأخ جمال: نعم أزور أقربائي وأدعو لهم.

قلت: فكيف إذن بأبناء رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)، أليس من باب أولى زيارتهم والدعاء عندهم؟!

الأخ جمال: لقد ذكرت أموراً كانت غائبة عنا، بل كنا نفكر حولها بطريقة مغلوطة، جزاك ا خيراً.

ثم انتقل موضوعنا حول الصحابة، وهو أن الشيعة تكفّر الصحابة، وكان متردداً بطرح السؤال علي.

الأخ جمال: إن الشيعة تكفّر الصحابة ولا تأخذ بأقوالهم، بينما لا يجب أن ننسى فضل الصحابة وما قدموه؟

قلت: يجب علينا أولا معرفة معنى الصحابة.

ومعناه أي صحب، صاحب، أي عاشر أو رافق، هذا لغة (١).

فالصحبة يمكن أن تكون على عدة أوجه: منها يشمل أوجه

---

(١) لسان العرب: صحب.

الخير، ومنها أوجه الشر.

فيمكن أن يكون بمعنى الصحبة شراً أو كافراً، فالصحبة ليست فضيلة، وهذا كتاب ا عز وجلّ يحدثنا عن سيدنا يوسف (عليه السلام) عندما دخل سجن العزيز كان معه اثنان، هما ساقي الملك وطباخه، وخاطبهم النبي يوسف (عليه السلام): (يا صاحبي السجن) (١)، وكانا كافرين لم يؤمنا با ، فهل تعد هذه فضيلة؟ فيجب مع الصحبة أن يكون إيمان كامل.

وللتوضيح أكثر عرف ابن حجر العسقلاني بالحرف كلمة الصحابي: أنّه كل من لقي النبي (صلى ا عليه وآله وسلم) مؤمناً به، ومات على الإسلام، فمنهم من رآه رؤية ولم يجالسه، ومنهم من لم يره لعارض العمى، ومنهم من روى عنه (٢).

وهذا لدى الشيعة ليس استناداً كاملا، فكيف من رآه ولم يجالسه يكون صحابياً وعادلا، ما لم تثبت عدالته بالأدلة.

إن الصحابة شرعاً وعقلا ليسوا بدرجة واحدة، فمنهم الصادقون، ومنهم الأقوياء، ومنهم الضعفاء ولهم درجات أيضاً، ومنهم المنافقون ولهم درجات.

والصحابة العدول عند الشيعة هم الذين أبلوا البلاء الحسن في

---

(١) يوسف: ٤١.

(٢) الإصابة لابن حجر، الفصل الأول: في تعريف الصحابي.

نصرة الدين وجاهدوا، ولم ينحرفوا ويبدلوا ويغيروا السنة المطهرة.

وأما التكفير، فلا يكفر أحد من الشيعة الصحابة، إنّما يناقشون أعمالهم ويذكرون المساوئ التي ارتكبوها أثناء حياة النبي (صلى ا عليه وآله وسلم)وبعد وفاته وماجرى بينهم، حيث أن الصحابة نفسهم لعن وكفّر وحارب بعضهم الآخر، وقد حذرهم النبي (صلى ا عليه وآله وسلم) بقوله: "لا تعودوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض" (١).

وأكبر دليل على ذلك مافعله معاوية وخالد بن الوليد، فأين فضل هؤلاء الصحابة؟!

أما إذا قصدت بصحبة أبي بكر للنبي (صلى ا عليه وآله وسلم) في الهجرة، فهذه لا تعد فضيلة، لأن النبي (صلى ا عليه وآله وسلم) وقع في مأزق عندما رأى أبا بكر يتبعه، إذا أعاده ستنكشف خطة الهجرة، فكان لابد من أخذه، وقضية الغار ونزول الآية الشريفة هي تقريع للصحابي الذي كان مع رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) في الغار وليست منقبة، لأن الصحابي لم يكن لديه شعور الإيمان بأن ا ناصر عبده وهو سيدنا محمد (صلى ا عليه وآله وسلم)، فأخذ بالبكاء، فقال له النبي: (لاَ تَحزن) وهذه الـ "لا" تدل على نفي وتقريع، أي: لا تفعل.. لا تبك، إن ا معنا، فكيف نعدها منقبة؟

والسكينة نزلت على النبي (صلى ا عليه وآله وسلم) ولم تنزل على أبي بكر، وقوله

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم: ٣٩/١ (١٢١).

تعالى: (وَأيده بِجنُود لم تَروها) (١) كانت للنبي، فلا يعقل أن تنزل الجنود إلى أبي بكر دون نبي ا   (صلى ا   عليه وآله وسلم).

الأخ جمال: هل يوجد كتاب يناقش هذه المسألة الحساسة، أرجو أن تفيدني بذلك.

قلت: نعم، هنالك كتاب "نظرية عدالة الصحابة" لأحمد حسين يعقوب، وكتاب "ليالي بيشاور"، وهما من الكتب الهامة.

الأخ جمال: لقد اكتملت لدي دلائل الحق، ولكن بقي هناك أسئلة أحاول البحث عن إجابتها من كتب أو محاضرات.

قلت: سوف أزودك بكلّ ماتحتاجه، فلكلّ شبهة لك حول الفكر الشيعي جواب ودليل، وما عليك سوى أن تقرأ الكتب المهتمة بهذا المجال، وسوف أساعدك قدر المستطاع.

ولم تمض أشهر قليلة تخللتها عدة زيارات حتى أعلن ولاءه لأهل البيت (عليهم السلام).

---

(١) التوبة: ٤٠.

الحوار مع الشيخ محمود الحوت:

سمعتُ يوماً من أحد أبناء "حلب" أن هناك شيخاً خطيباً فصيحاً يخطب في كل يوم جمعة بالناس، والناس تتسابق إلى مسجده لتسمع خطبته، فأحببت سماع إحدى خطبه.

وللصدفة كانت خطبته تتكلم عن صحابي من الصحابة، حيث أخذ الخطيب على عاتقة أن يتحدث كلّ يوم جمعة عن واحد من الصحابة، وصحابي اليوم هو معاوية بن أبي سفيان، فبدأ بسرد قصة إسلام معاوية، وأنّه كان من كتّاب الوحي عند رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)، وقد بشره بالجنة وبالخلافة والملك، وبدأ يعد مناقب مختلفة كثيرة وأنه من الصحابة المجتهدين، وتكلم عن فقهه وعن حربه، وإن كان حارب الإمام علي (عليه السلام) فهو اجتهد وأخطأ، وله أجر لأن ا سبحان لا يضيع أجر العاملين.

كلّ هذا وأنا جالس أستمع إليه وأعد الدقائق لانتهاء خطبته العصماء كي أجد فرصة من لقائه، وانتهت الخطبة وقام للصلاة ووقفت جانباً حتى انتهوا، وبدأ المخلصون له بتقبيل يده.

واقتربت منه، وسلّمت عليه، فرد السلام، فطلبت منه أن أطرح بعض الأسئلة، فحاول الاعتذار، ولكن قلت له: إن خطبتك أعجبتني كثيراً ولي بعض التعليقات عليها، فدعاني إلى غرفته الجانبية مع بعض الأخوة وجلسنا، ومن ثم قال لي: تفضل اسأل.

قلت: شيخنا، لقد تحدثتم واستفضتم حول الصحابي معاوية بن أبي سفيان، ولكن أنا لم أقتنع بكلامكم هذا لسببين:

أولهما: إنني لم أر فضيلة تذكر له وأن النبي الأعظم (صلى ا عليه وآله وسلم) لم يروِ له حديث منقبة.

ثانياً: إن الأحاديث التي ذكرتها كل الرواة فيها تابعون ومشكوك بأمرهم وصدقهم، وكلهم يتحدثون وينقلون الأحاديث من بعض، ولم يذكروا رواية من النبي (صلى ا عليه وآله وسلم)، وهذا يعد اختلاق فضائل له وهو ليس أهلاً لها.

الشيخ الحوت: ما هذا الذي تقوله، إن ابن المبارك قال: "لغبار دخل أنف فرس معاوية أفضل من عمر بن عبد العزيز"، وابن المبارك مشهود له بصدقه.

قلت:

أولا: ابن المبارك هذا تابع التابعين.

ثانياً: الفضيلة جاءت لفرس معاوية وليس لمعاوية، فما هو وجه التفاضل فيها؟

ثم إن الخليفة عمر بن عبد العزيز قد أجمع عليه العلماء وأنه الخليفة الأموي العادل الأوحد، فلم يكن قبله أحد مثله ولم يأت أحد بعده في العدل، حتى أن علماء السنة عدوه الخليفة الراشدي السادس، فأنت تناقض وتضرب بعرض الحائط أقوال جميع العلماء.

الشيخ الحوت: أنت جئت لتجادل، لم أحسب هذا أبداً.

قلت: ليس الموضوع موضوع جدال، فأنت تذكر أشياء لا يقبلها العقل والناس يستمعون إليك ويأخذون كلامك بجدية، فأنت مسؤول أمام ا تعالى على كل كلمة تقولها، لأن الناس ستتبع قولك.

أنت تعرف أن معاوية يعد من مسلمة الفتح، وهو آخر من أسلم حتى بعد أبيه خوفاً من القتل، وقد سموا بالطلقاء، فمن أين أتت كل هذه الفضائل له؟! وماكان يوماً كاتباً للوحي، كيف يؤتمن على كتابة الوحي؟! فكل ماكتبه هو رسالة لأحد الولاة في عصر النبوة!

بدأ الشيخ الحوت يتململ ويحاول الخروج، ونهض أحد الحاضرين مخاطباً لي ـ وهو شاب يبدو من تلامذته ـ: أنت كيف تخاطب الشيخ بهذه الطريقة، أرجو أن تعتذر منه وتصحح طريقة كلامك معه.

قلت: عفواً يا أخي أنا لم أسيء الأدب لشخص الشيخ، وهو يعلم تماماً ذلك، كل ماهنالك هو نقاش فقط.

أحد الحاضرين: هل تقول لنا أنك أعلم من الشيخ، أنت لا تعلم من هو؟!

قلت: أنا لا أقول أنني أعلم منه، ولكن أحاول أن أذكره أموراً قد يكون نسيها، نظراً للمعلومات الكثيرة التي تمر عليه، ثم إن الشيخ أشهر من نار على علم ولا حاجه لكم أن تعرفونني عليه.

الشيخ الحوت: يابني، أرجو أن تكون أقوالك أكثر عقلانية، فأنت تسيء لصحابي مجتهد وله باع طويل في العلم.

قلت: أي إجتهاد هذا ياشيخنا الذي تتحدث عنه؟ إنهم لم يعرفوا معنى الاجتهاد لقد سفكت الدماء وأبيحت، وغصبت الفروج وانتهكت المحارم، وغيرت الأحكام من جرأته وبدلت سنن!

فالاجتهاد له شروط وأنت عالم بها، وهي أن يكون المجتهد عالماً عارفاً بمدارك الأحكام الشرعية وأقسامها، وطرق إثباتها ووجوه دلالاتها، وأن يعرف الناسخ من المنسوخ وأسباب النزول.

فأين يكون له هذا، وهو لم يدخل الاسلام إلاّ متأخراً، ولم يعاشر الرسول (صلى ا عليه وآله وسلم)إلاّ فترة قصيرة جداً، ثم بدأ بتخطيط لدولته وكيانه بعد وفاة الرسول الأعظم (صلى ا عليه وآله وسلم)؟!

أي إسلام أو اجتهاد يقول له: إن عاهدت شخصاً عليك بإسقاط عهدك معه، وخروجك على إمام الزمان، ألم يكن الإمام علي (عليه السلام)إمام زمانه بإجماع الناس كلهم، فخرج عليه وعبأ الجيوش لقتاله من

شذاذ الآفاق الموجودين بالشام، وعندما استشهد الإمام شكر ا لهذا؟!

أي اجتهاد مأجور عليه أن يسب الإمام وابنيه ثمانين عاماً على المنابر بأمره، ويعاهد الإمام الحسن ثم ينقض العهد معه؟!

أحد الحاضرين: أيها الشاب عليك بالصمت، كفى، من أين هذه الافتراءات التي تقولها على أمير...؟

قلت: اسألوا شيخكم فهو يعلم من أين هذه الروايات، وأنا لا أفتري على أحد، وإذا كان شيخكم لا يعرف وأنا لا أظن ذلك، فها هي كتب السير والتاريخ والصحاح موجودة، ومن الكتب في هذا المجال التي تعد هامة "ميزان الاعتدال" للذهبي، فهو يتحدث عن رواة الفضائل وكذبهم، كما عليكم قراءة كتاب "مروج الذهب" للمسعودي، و"الكامل في التاريخ" لابن الأثير.

أحد الحاضرين: لقد قام معاوية بفتوحات عظيمة سأذكرها لك.

قلت: لا داعي لذكرها، فقد بدأ بفتوحاته بقتل الصحابة وتشريدهم وإيذاء أهل البيت (عليهم السلام)!

أحد الحاضرين: إن الخليفة معاوية كان زاهداً عالماً بالسنن ورعاً، ونظر إلى الشيخ ليؤكد له صدقه.

قلت: أي زهد وورع دفعه لقتل ومنع الماء عن الناس؟ وأي ورع والخمور تباع وتسقى في عهده؟ وبدأ باعطاء الامارات والولايات

لمن لهم عداء لأهل البيت (عليهم السلام) ولا يعرفون من الإسلام إلاّ اسمه!

وقد قيل للنسائي: مالك لا تحدث عن فضائل معاوية؟ فقال: "إنّي لا أجد له فضيلة سوى: لا أشبع ا بطنك" فكيف سأحدث عنه!

فضيلة الشيخ، ألا تعلم أن معاوية حين سار بجيشه إلى صفين يوم الأربعاء صلّى بالناس الجمعة في هذا اليوم!!

فنهض الشيخ مزمجراً: أنت تقول شيء غير صحيح، ويبدو أنك من هؤلاء.

قاطعته قائلا: هذه الرواية موجودة في "مروج الذهب" (١)، ثم من قصدك هؤلاء؟

الشيخ: أرجو أن تنصرف قبل أن يحلّ غضبي عليك.

قلت: سأنصرف، ولكن عليك أن تقول كلمة الحق وتذكر الأمور كلّها، لا أن تلفق وتأتي بأحاديث الكاذبين والوضاعين للحديث وتجعله سنداً لأقوالك.

أحد الحاضرين: يبدو أنك من هؤلاء الشيعة الذين لا يحترمون الصحابة؟

قلت: نعم أنا منهم والحمد ، أوالي أهل بيت أذهب ا عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، الذين لا تقبل صلاة لنا إلاّ بالصلاة عليهم،

---

(١) مروج الذهب: ٧٢/٢.

ونحن نحترم الصحابة ولكن المخلصين الذين مابدلوا تبديلا، نحن نوالي عمار بن ياسر (رضي ا عنه) الذي بشّره النبي (صلى ا عليه وآله وسلم) بأنه سيقتل وتقتله الفئة الباغية، وهذه الفئة هي معاوية وجنده.

عليك أن تراجع كتب السير لترى موبقات معاوية هذا ولا تكتفي بحديث قال شيخي.

إن من أهم موبقات معاوية هو تنصيبه ابنه يزيد الذي جعل عباد ا خولا وماله دولا، وقام بختم الصحابة من أعناقهم على أن يصبحوا عبيداً.

ومن موبقات معاوية قتله للإمام الحسن بدس السم له عن طريق زوجته جعدة بنت الأشعث، وقد أغراها بالمال وأن يزوجها ابنه يزيد، وعندما فعلت جاءته لتستوفي حقها فأعطاها المال، فقالت له: زوجني يزيد كما وعدتني، قال لها: لم تكوني أمينة على ابن رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) فكيف أئتمنك على ولدي؟!

الشيخ محمود: يبدو أنك من الذين خرجوا من السنة والجماعة؟

أحد الحاضرين: أيها الشاب أرجو أن تخرج حتى لا تفسد جلستنا.

قلت: أود تنبيهكم لأمر، وهو أن أول لفظ لهذه العبارة (السنة والجماعة) كان في عهد معاوية بن أبي سفيان، فرغم الحروب السابقة وعهد أبو بكر وعمر وعثمان لم تلفظ هذه العبارة إلاّ بعد أن

صالح الإمام الحسن (عليه السلام) معاوية على شروط، أولها ترك شتم أهل البيت على المنابر، والسير بالناس بسيرة حسنة، وعلى أن تعود الخلافة إلى الإمام الحسن أو أهل البيت بعد وفاة معاويةّ، لا أن يولي ولده الفاسق يزيد.

ولكن معاوية نقض العهد وخطب بالناس قائلا:

"أني وا ماقاتلتكم لتصلّوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا، إنكم لتفعلون ذلك، وإنما قاتلتكم لأتأمر عليكم، ألا كلّ شيء أعطيته الحسن بن علي (عليه السلام) فتحت قدمي هاتين" (١).

ثم أطلق على ذلك العام (عام السنّة والجماعة).

روى أبو الحسن علي بن محمد أبو سيف المدائني في كتابه "الأحداث" قال: "كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله: "أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته" (٢)، فقام الخطباء في كل كورة ومنبر يلعنون الإمام علي (عليه السلام)ويبرأون منه ويشتمون أهل البيت، ومن يومها انقسمت الأمة إلى فرق كثيرة، ولا حول ولا قوة إلاّ با .

وعمر بن عبد العزيز هو أول من أسقط هذا الشتم وأنزل مكانه:

إن ا يأمر بالعدل وبالاحسان وايتاء ذي القربى حقه والأمر

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد: ١٥/١٦.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ١١/٤٤، أخبار الدول العباسية: ٤٧.

بالمعروف والنهي عن المنكر (١).

فهل السنة والجماعة تفسيق الناس وتكفيرهم، قولوا لي بما عليكم؟!

الشيخ محمود: كفى وأطلب الانصراف الآن.

قالت: سأخرج، لكن ستتحمل المسؤولية (يوم لاَ ينفَع مالٌ ولاَ بنُون) (٢)، وخرجت من المسجد.

---

(١) الكامل لابن الأثير، مروج الذهب.

(٢) الشعراء: ٨٨.

معاناتي في طلب العمل:

كنت أعمل في هذه الفترة في إحدى الشركات الخاصة والتي تعتمد إحدى وكالات شركة أجنبية بلجيكية، وكان سبب معرفتي بهذه الشركة أنني تقدمت لفرصة عمل في السعودية في إحدى الشركات للتكييف والتبريد، وبعد فترة جاء مدير الشركة السعودية وطلب مقابلتي واختباري وتقدمت بكل الأوارق المطلوبة، وطال الوقت مدة ثمانية أشهر وجاء العقد مع الموافقة وحصلت على تذكرة الطائرة، ولكن تنقصني ورقة رسمية من الوزارة الخارجية السعودية، وبعد ترددي إلى سفارة المملكة السعودية بدمشق جاءت ورقة عدم الموافقة، فاتصلت بالشركة السعودية للاستفسار عن السبب؟

فقالوا: إنّهم وجدوا ختماً على ملف العمل (ممنوع لكونه فلسطيني الجنسية) فتأملوا!

كنت أعقد الأمل على هذه الفرصة، وخاصة أنه تم قبولي فنياً، ولكن عنصرية البعض أصابتني في قلبي، عدت إلى المنزل وبقيت في غرفتي ثلاثة أيام انتهت إلى إصابة في عيني اليمنى بتمزق

القرنية، وبعد مراجعة الأطباء تبين أنه لا شفاء لها إلاّ بعد سنوات، ويمكن إجراء عمل جراحي بعدها، ولكن أجور العملية تبلغ مئة وخمسين ألف ليرة سورية، أصبت للمرة الثانية بالكآبة والاحباط.

وكان من ضمن المتقدمين لهذا العمل شاب مهندس تعرفت عليه أثناء مراجعاتي للمكتب، ولم يذهب إلى العمل في الشركة مع أنه قُبل ووصلت له تذكرة طائرة، ولكنه حدث أمر طارىء منعه من الذهاب، وهذا الشاب اسمه وائل الصباغ، تبادلنا أرقام الهواتف وتكررت الاتصالات بيننا إلى أن نوه إلي أنه سيدخلني معه إلى الشركة التي يعمل فيها، بعد أن علم أن حالتي الصحية ليست جيدة وبحاجة لإجراء عملية جراحية في المستقبل، وهذه الشركة التي ذكرتها سابقاً تعمل في مجال استقدام آلات صناعية إلى الشركات المحلية وهي تحمل عدداً من الوكالات الأجنبية، فرحت بذلك وخاصة أن الأجر جيد نوعاً ما، وبدا لي أنه طيب الخلق، وعلمت أنه معيد في جامعة حلب ومثقف، وقد سافر إلى العديد من البلدان العربية والأجنبية وتعرف على العديد من الناس والتقاليد، يعني أنه يعتبر نفسه إنساناً متحضراً بامتياز.

وأثناء العمل حصل نوع من الود والألفة، لدرجة أنه أبلغني يوماً بأنه سوف يساعدني في إجراء العملية من حيث الأجرة، فخاله طبيب ممتاز بحلب وهو صاحب مستشفى كبير وله سمعة طيبة، ومن

ناحية الاجرة فسوف يتم تزكيتي لجمعية خيرية إسلامية اسمها "جمعية النور" فرع حلب وهي تابعة لمعهد النور بدمشق.

المهم كثرت دعوتي له إلى المنزل حتى يتعرف على والدي، لكنه رفض بسبب التزماته الكثيرة، وحقيقة هو لم يعرف عن فكري ومنهجي، وأنا لم أفاتحه بذلك، لأنني وجدت عدم ضرورة في ذلك، فالعمل عمل لا يجب خلط الأمور ببعضها وجاءت فرصة.

مجيء مدير الشركة إلى بيتنا:

وفي يوم وبعد مرور عام على عملي مع هذا المهندس، كان مديراً للشركة وكنت أعتبره صديقاً، طلب مني بعض الأوراق بشأن الحالة الصحية لدي، وقال لي: سوف أحضر إلى منزلك لآخذها وعرضها على أحد الأطباء، سررت بذلك وقلت له: على الرحب والسعة.

وفعلاً بالموعد المحدد حضر ودخل غرفه الاستقبال، وكانت فيها مكتبتي، فذهب إليها وبدأ ينظر إلى الكتب ويقرأ العناوين ثم جلس مع والدي، وبينما كنت أحضر الشاي وقبل دخولي إليهما سمعته يقول لوالدي: يبدو إن ابنك يسير باتجاه خاطئ عليك تحذيره.

ثم تقدمت وأعطيته كوب الشاي ونظرت إلى عينيه وجدت بهما نظرات تأنيب مع استخفاف، لم أتكلم معه وخرجت قصداً حتى أدعه يتكلم أكثر، فعاد وقال لوالدي: إن ابنك هذا سوف يضيع نفسه في خوضه لهذا التيار الخاطىء، ثم استأذن وسلم علينا وخرج دون

أن يكمل الشاي أو أن يأخذ الأوراق.

وفي اليوم الثاني حضرت إلى العمل، بعد سهر ليلة كاملة بين النقاش مع والدي الذي بدأ يؤنبني أيضاً لاعتقاده أن الرجل صادق وبين تفكيري بكلام هذا الصديق المثقف جداً، دخلت إلى المكتب وطرحت السلام عليه وأجاب بجفاف، ومضى اليوم الأول وعدة أيام دون أن يفاتحني بشيء أو أن يتكلم معي سوى بخصوص العمل مع نبرة تكبر.

مرت أيام كثيرة، فخطر على بالي أن أسأله عن موضوع العملية، فقلت: هل ستساعدني في شأن العملية الجراحية كما وعدتني، أم الأمر مازال مبكراً؟!

فأجابني وهو ينتفض وبصوت عال جداً لم اعتاده منه سابقاً: ولماذا أساعدك، هل أنت من جماعتنا حتى أساعدك، كما أن الجمعية لا تساعد أمثالك!

وأحسست يومها أنه أطلق رصاصة على جريح ينتفض لا أمل له بالنجاة، وذابت كلّ معاني الصداقة والإنسانية في قلبي، وأنا إلى الآن أعاني من جرح هذه الكلمة وا على ما أقول شهيد، لم أكن أتصور من شاب مهندس ومعيد ومثقف بدرجة عالية أن ينطق هذا الكلام!

ومن يومها بدأ يكيل لي الاتهامات والأقاويل، وأنا أتحمل، ويسب ويشتم ويلعن.

وقلت له ذات يوم: ليس هذا خلق الإسلام يا وائل؟

فقال لي: وهل تعرف أنت الاسلام؟!

با   عليكم ماذا أجيبه، وماذا أقول له، أو ماذا تتوقعون قولي له؟

لا شيء سوى طلب الهداية له، ثم دمعت عيناي، نعم دمعت عيناي أمامه، فضحك وظن أنني استعطفه، لا! بل أنني تذكرت مظلومية الزهراء (عليها السلام) وأولادها، وتذكرت مظلومية الإمام الحسين (عليه السلام) وقلت في نفسي: ما أمري إلاّ هين أمام تلك المظلومية.

وقلت أيضاً في نفسي: كم قلوبهم قاسية أولئك الذين أسسوا الظلم على أهل البيت (عليهم السلام)؟

وقلت مرة في نفسي: أنا لم أناقشه بشيء فلماذا هذا الحقد ظهر فجأة؟! فعدت وقلت لنفسي: هذا الحقد عمره أربعة عشر قرناً، هذا هو نتاج التعتيم والتضليل، هذا التعصب القبلي بعينه، لعن ا   الجاهلية ولعن ا   الظالمين.

لم تمض سوى ثلاثة أشهر حتى تم تسريحي من العمل، لماذا؟ لأسباب أجهلها، وعندما راجعت مدير عام الشركة، قال لي: نحتفظ بالأسباب لأنفسنا. ونرجو لك مستقبلاً أفضل!

أيها القارىء العزيز أترك لك الحكم والقرار، وأنا مازلت حياً والرجل مازال حياً والشركة مازالت قائمة "وحسبي ا   ونعم الوكيل".

كرامة إلهية حصلت أمامي:

بعد معاناة دامت شهراً أو أكثر، بقيت وحيداً في البيت لا أخرج منه ولا أقرأ سـوى أنني أدخن كثيراً وأشـرب القهوة باستمرار، حتى جاءني صـديق طيب يدعى هشام كنت قد تعرفت عليه من قبل أحد الأخوة، ومن الزيارة الأولى له أحسست باتجاه روح الأخوة الصـادقة، وهو أيضـاً أحس بذلك، زارني في منـزلي ليـروح عني قليلا، ولفت نظري إلى الذهاب إلى مشـهد رأس الإمـام الحسين (عليه السلام)وزيارة الإمام والصلاة بالمسجد والدعاء هناك للفرج.

قبلت الفكرة على شرط حتى أستعيد قوتي بعد يومين أو أكثر، ومضى بعض الوقت وجاء شهر محرم الحرام وأحسست بقوة في نفسي، ورأيت أن من الواجب في هذا الشـهر زيارة المشهد وحضور مجالس العزاء فيه، وبدأت بالذهاب إلى أن جاء يوم العاشـر من محرم، ذهبت باكراً جداً للصلاة والدعاء قبل حضور الناس، وقارىء العزاء السـيد أحمد قرآني حيث اعتاد أن يقرأ في

حلب منذ أعوام مجالس العزاء ويوم العاشر ظهراً يكون قراءة المقتل.

وقفت أمام الشباك المحيط بالصخرة التي تبارك برأس الإمام الحسين (عليه السلام) ونقاط دمه الطاهرة التي سالت عليها، بدأت أتذكر الواقعة ومسير السبايا ووصولهم إلى حلب، حتى جاءتني حالة من البكاء الشديد والدعاء بصوت عال: يا حسين يا شهيد، يا سيداه يا مولاي، تحنن على عبدك، ليتني كنت معكم سادتي لأقتل بين يديكم، لعن ا من تجرأ عليكم واستباح دمكم وحرمكم وأولادكم وأصحابكم....

وإذا بنقطة دم تلمع وتبرق على الصخرة وأنا أنظر إليها، فركت عيني لأتأكد وبدأت نقطة الدم تكبر وتلمع وتبرق كأنها قطعة ألماس، حتى بلغت بحجم الدرهم، زادت حالة البكاء لدي حتى أن بعض الحاضرين بدأ يتسأل ما سبب هزي للشباك؟

قلت له: تعال وأنظر هذه الصخرة المباركة لو أنني أستطيع الدخول ولمسها والتبرك بها، قال لي الرجل: اهدأ وصلّ على محمد وآل محمد.

وفعلا إن هذه الكرامة لن أنساها أبداً ماحييت، وسأذكرها لكّل قريب وبعيد، وها أنا أكتبها للعبرة لأقول للظالمين ولأتباعهم: أين

الذين ظلموا آل محمد (عليهم السلام)، أين ذكرهم، أين قبورهم، أين؟! أندرست وعفى عليها الزمن، ولكن أهل البيت (عليهم السلام)ذكرهم خالد باق كالشمس في رابعة النهار والقمر في الليل المظلم، هم سادة البشر، وهم المحجة البيضاء، ذكرهم وآثارهم وروحهم باقية، ودماؤهم تصيح وتذكرنا بتضحياتهم في سبيل الإسلام وأمة سيدنا محمد (صلى ا عليه وآله وسلم).

حوار حول مؤتمر الوحدة الإسلامية:

عقدت سفارة الجمهورية الإسلامية الإيرانية مؤتمراً حول الوحدة الإسلامية في "حلب" معهد التراث العربي في إطار بحوث ودراسات من أجل التقريب بين المذاهب، وقد تلقيت دعوة لحضور المؤتمر مع عدد من الأخوة الكرام، وكان المحاضرون فيه علماء المذاهب الإسلامية ومفكريهم، وكانت لفتة كريمة من السفارة الإيرانية لهذا المؤتمر، حيث أنه أعطى طابعاً مميزاً، وصرف بعض الإشكالات التي تدور حول عقيدة الشيعة الإمامية.

حضرت اليوم الأول وهو الافتتاح وإلقاء الكلمات الافتتاحية، وبدأ تسلسل المحاضرات والمناقشات، وكان الحضور ملفتاً للنظر، حيث حضر فيه الكثير من العلماء من إيران وسوريا وفلسطين وقطر ومصر واليمن، وعندما أنهى المؤتمر يومه الأول خرج المحاضرون والمستمعون إلى ساحة المعهد وتم التعارف بين العديد من الشباب، ورأيت أحد الشبان من أبناء المنطقة التي أقيم بها في حلب ومعه شيخ معمم، فتوجهت إليهم وتبادلنا السلام، وعرفني ذاك الشاب بصديقه قائلا لي: الشيخ زكريا جاويش خطيب أحد مساجد قرية

حيان إحدى ضواحي حلب؛ وكان الشيخ شاباً في مقتبل العمر طويل القامة أسمر البشرة، وكذلك عرفني الشاب للشيخ، وكان الشاب لا يعرف شيئاً بالنسبة لنهجي الإمامي بل كان يظن العكس تماماً، وتمشينا قليلا.

قال الشاب لي: سمعنا أن هناك مؤتمراً تقيمه الشيعة فحضرنا لنرى ماسيقولون؟

الشيخ زكريا: كنا نظن شيئاً، ولكن بالنهاية تبين لنا العكس تماماً.

قلت: فما رأيك في المؤتمر ياصديقي؟ وماذا كنت تظن أيها الشيخ الفاضل؟!

الشاب: كما قال الشيخ كنا نتصور أن المؤتمر أقاموه للدفاع عن مذهبهم ورمي التهم على الناس و...، ولكن ما سمعته في هذا اليوم أزال الكثير من الشكوك التي كانت تدور في ذهني، ولكن...!.

الشيخ زكريا مقاطعاً: الوجه العام للمؤتمر لابأس به، لكن الجماعة لديهم بعض الأمور التي لا يستطيعون التصريح بها علناً، وبمرور الزمن سنحاول أن نجعلهم يعدلوا عن رأيهم ونبين لهم طالما هذه المؤتمرات واللقاءات قائمة.

قلت: ماهي الأمور التي لا يستطيعون التصريح بها، أرجو أن تفيدني، ربما هناك أمراً أجهله؟!

الشيخ زكريا: هم يطعنون بالصحابة، وتصل بهم الأمور إلى شتم

ولعن الصحابة، وأنت تعرف الصحابة ومقدار عظمتهم ودرجتهم! ويقولون: إن أغلب الصحابة ارتدوا معاذ ا ، أما نحن المسلمون نقول: إن الصحابة عدول.

قلت: بما أننا سندخل في نقاش، مارأيكم بالذهاب إلى منزلي لنتناول الشاي ونبحث معاً الأمر.

الشاب: لابأس، ونحن نسكن في حي واحد، لكن الشيخ مكانه بعيد، لا بأس سيقيم الليلة عندي حتى الصباح.

الشيخ زكريا: أرجو أن تعذروني فالمكان بعيد والمواصلات صعبة ليلا.

قلت: طالما أن صديقك رحب بالفكرة وتقدم بالترحيب على نومك عنده هذه الليلة فلا مناص، وذهبنا سوية إلى منزلي.

الصحابة عند أهل السنة:

وصلنا إلى المنزل، وبعد جلوسنا بدأت بالسؤال التالي، وكان موجهاً للشيخ زكريا:

قلت: لفت نظري أنك قلت في الطريق أننا نحن المسلمون نقول: إن الصحابة عدول، وهم يطعنون بهم، هل معنى قولك أن الشيعة ليسوا بمسلمين؟!

الشيخ زكريا: ليس هذا المقصود تماماً، لكن هناك تحفظ عليهم في هذا الأمر، والنبي (صلى ا عليه وآله وسلم) قال: "أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم

اهتديتم"، وبشر بعشرة منهم إلى الجنة، وهم لا يقرون بذلك.

قلت: أعتقد أن كلامك فيه بعض اللبس، فالشيعة أولا مسلمون وبنص رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)حيث قال: "كل من أقر بالوحدانية وصدق أنبياءه ورسله وملائكته وشهد الشهادتين وصلّى وصام وحج وأدى الزكاة هو مسلم"، والشيعة يؤمنون بذلك قولا وعملا، فالقبلة التي نتوجه إليها في الصلاة واحدة والفروض واحدة وكتاب ا واحد.

لكن هناك شيء أبينه من قول ا عز وجلّ: (قَالَت الأَعراب آمنا قُل لم تُؤْمنُوا ولَكن قُولُوا أَسلَمنَا) (١)، فالإسلام شيء والإيمان شيء آخر، وكل ماذكرناه سابقاً يندرج تحت عنوان الإسلام، أما الإيمان فهو التصديق بكل ماجاء به النبي (صلى ا عليه وآله وسلم) قولاً وعملا.

وأما بشأن حديث أصحابي كالنجوم، فهو منسوب إلى النبي (صلى ا عليه وآله وسلم) واشتهر على لسان العامة ولا يوجد له أثر في الصحاح المعتبرة عندهم، بل ذكره العجلوني في "كشف الخفاء" نقلا عن سنن البيهقي، وهذا لا حجة فيه.

وبهذا الحديث وضعوا للصحابة هالة من القداسة، وذلك لتبرير أمور كثيرة جرت سابقاً، وهذا من أعمال بني أمية، حيث قلبوا الأحاديث رأساً على عقب من أجل إبعاد أهل البيت عن كل فضيلة.

فمثلاً ورد حديث عن النبي (صلى ا عليه وآله وسلم) "الحسن والحسين سيدا شباب

---

(١) الحجرات: ١٤.

أهل الجنة" (١)، وهذا باتفاق الطرفين، فجاءوا ووضعوا حديث: (أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة)! وألفت نظرك إلى أن رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) قال: "يحشر ا سبحانه الناس يوم القيامة سواسية وفي عمر واحد لا يتجاوزون الثلاث والثلاثين عام"، فبرأيك بأي حديث نأخذ؟

أضف إلى ذلك أن المعروف من كبار الصحابة فضلا عن عامتهم أنهم كانوا يختلفون أحياناً، ولعن بعضهم بعضاً، وحارب بعضهم البعض، وكل هذا مثبت في كتب السير والتاريخ، فهل يجب أن نقتدي بهؤلاء جميعاً؟!

وبعد هذا أقول:

من هو الصحابي:

إن كلمة صحابي تطلق على كل الذين أسلموا مع النبي (صلى ا عليه وآله وسلم) وتظاهروا بالإسلام، والدليل على ذلك قول ابن حجر العسقلاني: كل من لقي النبي (صلى ا عليه وآله وسلم) مؤمناً به، ومات على الإسلام، طالت مجالسته معه أو قصرت، غزا أو لم يغز، ومن رآه ولم يجالسه، وأعتبر أن النبي (صلى ا عليه وآله وسلم) إذا رأى صبي مميز فهو صحابي.

---

(١) صحيح ابن حبان: ٤١٢/١٥ (٦٩٥٩)، مستدرك الحاكم: ٣٧٦/٣ (٤٨٣٩)، سنن الترمذي: ١١٣/٦ (٣٧٦٨).

والدليل على أن هناك من تظاهر بالاسلام قول عبدا بن أبي زعيم المنافقين قولاً واحداً: (لعمري لنحسنن صحبته مادام بين ظهرانينا).

كما أن أبا سفيان أسلم يوم الفتح ومعاوية ابنه وهما صحابيان.

وكان عبدا بن أبي سرح يكتب لرسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) الوحي ثم افترى على ا الكذب وارتد، فأباح الرسول دمه ولو تعلق بأستار الكعبة، لكن عثمان في خلافته أحضره وولاّه ولاية مصر، وهو صحابي شاءوا أم أبوا (١).

وهذا الحكم بن العاص أيضاً طريد رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)، طرده إلى مرج قرب الطائف وحرم عليه دخول المدينة، وبعد وفاة النبي الأكرم (صلى ا عليه وآله وسلم) راجع عثمان أبا بكر في خلافته بارجاعه فرفض، وراجع عمر بعده ليدخله فرفض، وعندما آلت الخلافة إليه أدخله إلى المدينة معززاً مكرماً وأعطاه مائه ألف دينار لأنه صحابي (٢)!

الشيخ زكريا: من أين جئت بهذه الروايات، أرجو أن تكون متيقناً؟!

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي: ٢٢٣ (٤٤٢)، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٨٨/٣.

(٢) المعارف لابن قتيبة: ١٩٤، الاستيعاب لابن عبد البر: ٣٦٠، العقد الفريد لابن عبدربه: ٣٥/٥.

قلت: أنا متأكد وأنقل لك هذه الروايات من كتب علماء السنة، كابن الأثير وابن كثير والمسعودي وابن قتيبة، فمن سلالة هذا الحكم ابن العاص مروان بن الحكم أبو الخلفاء الأمويين.

وأبو سفيان قاتل الإسلام بكل فنون القتال، ويوم الفتح وجد نفسه محاصراً إما القتل أو الإسلام فأسلم، وغيرهم كثيرون نافقوا وتظاهروا بالإسلام.

فالصحبة تشمل كل الذين أسلموا أو تظاهروا بالإسلام في ذلك الوقت، وممكن أن نميزهم بميزتين أو قسمين:

فضلاء الصحابة: وهم الأخيار الذين قامت دولة الرسول (صلى ا عليه وآله وسلم)على أكتافهم.

بقية الصحابة: ضعاف الإيمان أو متوسطة فمنهم الصبيان والمنافقون.

وإن موجز ماوصل إليه علماء السنة أن ساووا بين أبي بكر وأبي سفيان، وبين معاوية وعمار، وبين عثمان ومروان بن الحكم، كل صحابة وعدول لا يجوز القدح بهم، فهل هذا يعقل؟

هل يعقل أن يكون أبو بكر مثل عبدا بن أبي سرح، أو عمر مثل أبي سفيان برأيكم؟

الشاب: لا غير معقول.

الشيخ زكريا: لا يمكن ذلك، ولكن نص رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) بالعشرة

المبشرين ماذا نفعل به؟

قلت: وهل هذا قانون خاص، إذا اختص هؤلاء العشرة بالجنة معنى أن غيرهم بالنار، أم ماذا، هذا لا يعقل؟!

ثم أنظر للعشرة، تراهم حارب بعضهم الآخر ومع ذلك نقول كلّهم في الجنة! وإذا درسنا تاريخ العشرة نجد بعضهم حاربوا وبغوا على الإمام علي (عليه السلام) وهو كاره لذلك، فمن بدأ الحرب بالظلم وتعتيم الأحاديث وتضليلها، ومن بايع وتنصل ونكث ورفع السيف بوجه الإمام، هؤلاء كلهم ضمن العشرة المبشرين!

هذا وقد أجمع علماء الحجاز والعراق من أهل الحديث والرأي، منهم مالك والشافعي والأوزاعي وأبو حنيفة: بأن الإمام علي (عليه السلام)كان مصيباً في قتاله لأهل الجمل وأهل صفين وأهل النهروان.

ولو كان هذا الحديث صحيحاً لماذا لم يحتج به أبوبكر يوم السقيفة أمام الأنصار؟ ولماذا لم يحتج به عثمان يوم حصاره بالدار؟ وقد ثبت بالضرورة من دين الإسلام حرمة دماء أهل الجنة.

إن هذا الحديث من المحال عقلاً، إذ كيف يبشر رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) لهم بالجنة وهو لا يعرف خاتمتهم؟!

بل إن النبي (صلى ا عليه وآله وسلم) أخبر بعض هؤلاء العشرة بأنه ظالم كالزبير، إذ قال له رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم): "لتقاتل علياً (عليه السلام) وأنت ظالم له" (١)، فكيف

---

(١) مستدرك الحاكم: ٨١/٤ (٥٦٥٩).

يدخل الظالمون الجنة!

وورد في الأحاديث أن السيدة فاطمة (عليها السلام)بنت رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)توفيت وهي غاضبة على أبي بكر وعمر، وقد نقل لنا في الصحيح قول النبي (صلى ا عليه وآله وسلم) لفاطمة: "إن ا يغضب لغضبك ويرضى لرضاك" (١)، وقال (صلى ا عليه وآله وسلم): "من آذى فاطمة فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى ا ".

كما لا يخفى عليكم أن الذي حدث بهذا الحديث هو سعيد بن زيد بن نفيل وهو أحد العشرة المبشرة بهم، وتعلمون أن من زكى غيره بتزكية نفسه لا تثبت تزكيته لمن زكى في الإسلام، وقد قال سبحانه في كتابه العزيز (فَلا تُزكوا َأنفُسكُم هو َأعلَم بِمنِ اتقَى) (٢)، وهذا الحديث وضع مقابل حديث الأئمة الاثني عشر المشهور عند الطرفين.

الصحابي عند الإمامية:

أما الصحابي عند الإمامية: هو من صحب رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) وحفظ شرف الصحبة ومات مؤمناً، ولم يرتد على عقبه القهقرى بعد وفاة رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم).

الشيخ زكريا: ها، أنت تقول مثل قولهم: إن الصحابة ارتدوا،

---

(١) مستدرك الحاكم: ٣٦٤/٣ (٤٧٨٩).

(٢) النجم: ٣٢.

فكيف ذلك؟!

الشاب: لقد تبين لي أنك تفكر مثل تفكيرهم فاحذر؟!

قلت: أنا لا أقول إلاّ بقول رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)، هل تأخذون بقول النبي (صلى ا عليه وآله وسلم) أم ماذا؟!

الشيخ زكريا: قول رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) نعم القول، فماذا قال الرسول الكريم (صلى ا عليه وآله وسلم)؟

قلت: لقد أخرج مسلم في صحيحه حديثاً عن رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم): "ألا ليذادن رجالٌ عن حوضي كما يذاد البعير الضال، أناديهم: ألا هلم، فيقال: إنّهم قد بدلوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً..." (١).

فليس من العدل إذن أن نحكم على عدالة كل الصحابة، أو نخص عشرة بالجنة بعدما علمنا أن منهم الداخلين إلى الاسلام قهراً كأبي سفيان وابنه معاوية، ومنهم من شرب الخمور وهتك الحرمات وسبى وقاتل الإمام علي (عليه السلام)، ومنهم من ارتد ثم عاد ثم ارتد، فالصحبة عند الإماميه لها معايير خاصة.

قد يحتج البعض أن الصحابة هم نقلة السنة والآثار النبوية.

وأقول: لا بأس، وهناك من أحرق السنة النبوية التي كانت مدونة، فقد ورد أن عمر أمر الصحابة أن يجمعوا الأحاديث ويأتوا بها إليه،

---

(١) صحيح مسلم: ١٨٤/١ (٢٤٩).

فلما جاءوا بها فأحرقها (١)، فبذلك لم ينقل إلاّ القليل! بينما نجد السنة النبوية المطهرة موجودة ونقلت لنا عبر صحابة مخلصين وأهل بيت مطهرين (عليه السلام).

الشيخ زكريا: هل هناك من ناقش هذا الموضوع حول الصحابة وارتدادهم، وحول الأحاديث الملحقة؟

قلت: نعم يوجد كتاب "نظرية عدالة الصحابة" لأحمد حسين يعقوب، وهناك كتابان أحدهما "ميزان الاعتدال" للذهبي والآخر "الموضوعات" لأبي الفرج ابن الجوزي.

الشاب: لقد طرحت موضوعاً غاية في الخطورة ويحتاج لبحث أعمق!

الشيخ زكريا: إن ماطرحته الآن نسف مافي ذهني من رؤى خاصة بالصحابة!

قلت: أكرر لكم: إن الامامية لا تكفر أحداً، إنّما تأخذ عليهم مآخذ قاموا بها كان من الواجب تركها إن كانوا مؤمنين حقاً، وهناك الكثير من القضايا التي صدرت من الصحابة دلّت على عدم الإيمان لديهم بالمعنى المطلق ولم يعملوا بالسنة المطهرة، حتى التابعين انقسموا إلى فرق كل فرقة حسب ميولها واعتقادها بالصحابة، حتى

---

(١) طبقات ابن سعد: ١٤٣/٥ (ترجمة القاسم بن محمد).

أنك ترى الفرقة البكرية وضعت فضائل في أبي بكر وصلت حد الغلو، كقولهم: إن رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) عندما أسري به عرج إلى السماء هاب هذه الرحلة وخاف، فجعل ا سبحانه ملكاً يتصور بصورة أبي بكر في كل سماء يمر بها رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)حتى يستأنس ولا يخاف.

أنظروا يرحمكم ا لهذا الحديث هل يقبله أحد؟!

أو الفرقة العمرية الذين جعلوا ا سبحانه وتعالى ينزل الآيات موافقة لرأي عمر بن الخطاب (١)، أو أن الشيطان يفر من أمام عمر ويضرط (٢)! وإمام الرسول يعترض صلاته ويقطعها! فهل تقبل هذه الأحاديث أيها الشيخ الكريم؟! فهل يقبل أن ا سبحانه يترك نبيه ويأخذ بقول آخر؟!.

الشيخ زكريا: سوف أقوم بإعادة البحث عبر الكتب التي ذكرتها لنا، وإذا وجدت كتباً أخرى أرجو أن تعلمني بها.

قلت: هناك كتاب اسمه "معالم المدرستين" للعلاّمة مرتضى العسكري، وله كتاب أيضاً اسمه "مائة وخمسون صحابي مختلق"، وهذان الكتابان يغنيان عن الكثير من الكتب، وأضف لمعلوماتك كتاب "أحاديث عائشة أم المؤمنين" للشيخ هشام آل قطيط فهو من

---

(١) صحيح مسلم: ١١١٠/٣ (١٧٦٣)، أسباب نزول القرآن للواحدي: ٢٤٤ (٤٨٨).

(٢) سنن الترمذي: ٦٢/٦ (٣٦٩٠) و (٣٦٩١).

الكتب الجيدة ويناقش فيه أحاديث كثيرة مفتعلة، وكتاب "الغدير" للعلامة الأميني، فهو يناقش أيضاً سلسلة الأحاديث الموضوعة.

الشاب: الساعة قاربت الثالثة أرجو أن تأذن لنا سوف يدركنا الصباح.

الشيخ زكريا: عذراً للاطالة، لقد وجدنا فائدة كثيرة بالحديث معك، ولكن الوقت تأخر وسوف نلتقي لاحقاً.

قلت: على كلّ أنا لا أريد إتعابكم وهذا رقم هاتفي أرجو أن نبقى على اتصال.

الشيخ زكريا: أعدك أنّه لابد من لقائنا، وهذه المرة عندي في القرية، وسوف تنام عندي أنت وصديقي، والآن السلام عليكم وفرصة طيبة تعرفنا عليك.

قلت: وعليكم السلام والرحمة كنت سعيداً بمعرفتك.

وانكشف الزيف:

بعد البحث الذي قمتُ به وبعد مراجعة الكم الهائل من المصادر التاريخية، وبعد ترددي على العلماء من الطرفين، بدأ فضولي يزداد أكثر فأكثر، كلّما قرأت كتاباً سعيت إلى أخذ المصادر التي اعتمد عليها الكاتب أو المحقق حتى تكون لي القدرة على المناقشة بصورة أوسع لأستند إلى دلائل أقوى حجة، وكلّما قارنت الأحاديث وبحثت عن مصداقية الرجال الرواة لدى السنة يتبين لي زيف الرجال، بل زيف الإدعاء بالسنة.

ما كان أبوبكر وعمر وعثمان وأبو هريرة ومعاوية وغيرهم من الصحابة حريصين على سنة النبي الأعظم (صلى ا عليه وآله وسلم)، حتى استدلالتهم لم تكن صادقة عندما قاموا بمؤامرة السقيفة.

وسأنقل لكم زيف بعض الأحاديث التي استدلّ عليها القوم:

زيف "مروا أبابكر ليصلّ بالناس":

عند البحث والتقصي وجدتُ أن أبابكر لم يكن الوحيد الذي يصلّي بالناس، كما يحتج الكثير من علماء السنة بأن الرسول (صلى ا عليه وآله وسلم)

قد سمى خليفته بالإشارة أو القول بوساطة زوجته عائشة ابنة أبي بكر بأن يؤم الناس في الصلاة، فبنوا رأيهم عن هذا الحديث.

قالت عائشة ـ والرواية هي تنقلها ـ: "لما ثقل رسول (صلى ا عليه وآله وسلم) جاء بلال يؤذنه بالصلاة، فقال: مروا أبابكر فليصلّ بالناس، فقلت: يارسول ا إن أبابكر رجل أسيف وأنه متى يقوم مقامك لا يسمع الناس فلو أمرت عمر، فقال (صلى ا عليه وآله وسلم): مروا أبابكر فليصلّ بالناس، قالت: فقلت لحفصة: قولي له إن أبابكر رجل أسيف وإنه متى يقوم مقامك لا يسمع الناس فلو أمرت عمر، فقالت له، فقال رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم): إنكن لأنتن صواحب يوسف، مروا أبابكر فليصلّ بالناس، قالت: فأمروا أبابكر يصلّي بالناس" (١).

وهذا الحديث يسقط لعدة أوجه:

أولاً: لم يذكر هذا الحديث أحد سوى عائشة، وهذا معناه حديث آحاد لا يقبل.

ثانياً: هي تعرف رسول ا بأبيها، وهل رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) لا يعرف أبابكر، فلماذا هذا التركيز؟!

ثالثاً: لماذا تطلب من حفصة ذلك، فهي تزكي والدها وتزكي عمر، بل تدفع بحفصه لتزكيتهما.

---

(١) صحيح مسلم: ٢٦٣/١ (٤١٨).

رابعاً: إن أبابكر صلّى وراء العديد من الصحابة:

أ ـ صلاة عمرو بن العاص إماماً ويؤمه أبوبكر وعمر وجماعة من المهاجرين في غزوة ذات السلاسل.

ب ـ هذا البخاري يحدثنا أن سالم مولى أبي حذيفة يؤم المهاجرين والأنصار في مسجد قباء (١).

ج ـ يوم فتح مكة أمر الرسول (صلى ا عليه وآله وسلم) عتاب بن أسيد أن يصلّي بالناس ومعهم أبو بكر (٢).

د ـ عندما مرض عمر بن الخطاب دعا صهيب الرومي أن يؤم المصلّين بما فيهم المبشرين بالجنة (٣).

فلماذا لم يحتج كلّ هؤلاء بأولويتهم بالخلافة؟ حتى أن أبابكر لم يحتج بذلك يوم السقيفة، فيتبين لنا أن هذا الحديث مختلق موضوع، وضعه الأمويون لتبرير إقصاء الإمام علي (عليه السلام) عن الخلافة، وبعد هذا سقط زيف الصلاة.

زيف الشورى:

من ادعاءات السنة أن الخليفة يسمى عن طريق الشورى كما

---

(١) صحيح البخاري: ٣٨٥/٤ (٧١٧٥) كتاب الأحكام.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد: ١٠٤/٢ (غزوة رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) عام الفتح).

(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٥٠/٣.

حدث في السقيفة إستناداً للأية (وَأَمرهم شُورى بينَهم ومما رزقْنَاهم ينفقُون) (١)، وإذا أردنا مصداقية زيف الشورى فلابد من ذكر حادثة السقيفة، لنرى هل تمت بشورى، أم بقهر وغلبه؟ وهل كان النصاب شرعياً؟

السقيفة وما أدراكم ما السقيفة:

تهافت كل من الأنصار والمهاجرين لوضع يد السبق في تأسيس كيان السلطة الجديدة، فكان أول القادمين لسقيفة بني ساعدة الأنصار، فاجتمعوا وحزموا أمرهم على التفرد بالسلطة دون قريش، وكان المرشح الأول للمنصب وادارة السلطة هو سعد بن عبادة، وكانوا بأشد الحرص أن لا تعلم قريش بذلك، ولكن العسس الموالين لأبي بكر وعمر كانوا بالمرصاد لهم، فأخبروا أبابكر وعمر بتدبير القوم، فهرع أبو بكر وعمر مهرولين ومعهم أبو عبيدة بن الجراح واقتحموا قصر المؤتمرات، ولقوا بطريقهم أسيد بن حضير وعويم بن ساعدة وعاصم بن عدي.

وأنقل لكم ما قاله عمر بن الخطاب حين أتاهم: وإذا برجل مزمل، فقالوا: هذا سعد بن عبادة متوعك قليلا، ثم قام خطيبهم فتشهد وأثنى على ا ، ثم قال: أما بعد فنحن أنصار الإسلام

---

(١) الشورى: ٣٨.

والرسول وأنتم معشر المهاجرين رهط ليس إلاّ...، فأردت الكلام فمنعني أبوبكر، ثم نهض أبوبكر وحمد ا وأثنى عليه، ثم ذكر فضل المهاجرين وأنهم السابقون الأولون وهم أولياء الرسول وعشيرته وأحق بهذا الأمر من بعده ولا ينازعهم في ذلك إلاّ ظالم، ثم بدأ يذكر فضل الأنصار، وقال: وليس بعد المهاجرين الأولين عندنا بمنزلتكم، فلنشترك بالأمر نحن الأمراء وأنتم الوزراء، وأنا أدعوكم إلى أبي عبيدة أو عمر، وكلاهما رضيت لكم وهما له أهل.

فقال عمر وأبو عبيدة: ما ينبغي لأحد من الناس أن يكون فوقك يا أبابكر.

ثم نهض الحباب بن المنذر ـ تعصف به النخوة وحب الرياسة ـ فقال: أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب، منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش.

فقال سعد: هذا أول البلاء.

فنادى عمر قائلا: هيهات، لا يجتمع اثنان في قرن.

فصاح الحباب: يامعشر الأنصار أملكوا عليكم أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه، وإن لم يرضوا بمطالبنا فأخرجوهم من بلادكم وا لا يرد علي أحد إلاّ حطمت أنفه بسيفي.

قال عمر: إذن يقتلك ا .

وأجاب الحباب: بل إياك يقتل (١).

فبدأ الجدال والهرج بين القوم، وكلّ منهم يبذر مواهبه وإمكانياته!

ثم قال عمر لأبي عبيدة: أبسط يدك لأبايعك.

فقال أبو عبيدة: ماهذا الكلام الذي تقوله، فأنا لم أجد لك غلظة في حياتك السابقة، أتريد مبايعتي وأبو بكر فينا.

وكلمة أبي عبيدة ضربت قلب عمر بالصميم، لأنّه حسب أن يرد الأمر عليه، وهو يعلم أن أبابكر إذا وليها لن يعطيها عمر، ولكن يبقى أبوبكر بنظر عمر أهون من بني هاشم والأنصار، واستطاع فيما بعد بتدبير مع عثمان أن تصل السلطة له.

وعندما علت الأصوات قال المنذر بن الأرقم: إن فيكم لرجلاً لو طلب هذا الأمر لن ينازعه أحد، قال مخاطباً الملأ، وقد عنى بعلي بن أبي طالب.

فقال بعض الأنصار: لا نبايع إلاّ علياً.

عندما سمع هذه المقولة عمر شد على يد أبي بكر، وقال: أبايعك على أن تكون خليفة المسلمين، وتلاه أبو عبيدة، وعبد الرحمن بن عوف.

---

(١) تاريخ الطبري: ٢٢٠/٣، الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ٢٤، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٣٣٠/٢.

نهض سعد بن عبادة، وقال: لا تخرجوا هذا الأمر من قوم هم أحق به منكم.

وتراكض الناس وكادوا يقتلون ابن عبادة، وصاح عمر: اقتلوه قتله ا ، ثم قام على رأسه وقال: لقد هممت أن أطاك حتى ينتدر عضدك.

فأخذ قيس بن سعد برأس عمر قائلاً: وا لو حصصت منه شعرة مارجعت وفي فمك واضحة.

وقال سعد: وا لو أن بي قوة ما لسمعت مني زئيراً يجحرك وأصحابك ولألحقك بقوم كنت فيهم تابعاً غير متبوع، إحملوني من هذا المكان، ورفض زعيم الأنصار مبايعة أبي بكر ومعه بعض أصحابه وخرجوا(١).

من لم يبايع ومن لم يكن موجوداً:

ذكر ابن عبد البر في كتابه "الاستيعاب" والبلاذري في "تاريخه" وغيرهم من أرباب السير: أن سعد بن عبادة وطائفة من الخزرج وجماعة من قريش لم يبايعوا أبابكر في السقيفة، وعد ثمانية عشر من كبار الصحابة لم يكونوا موجودين وقتها بالسقيفة،

---

(١) تاريخ الطبري: ٢٠٢/٣، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٣٣٠/٢.

ثم رفضوا البيعة (١).

وننقل إليكم أسماء من لم يحضر للبيعة من شيعة علي بن أبي طالب وأنصاره، وهم:

سلمان الفارسي، أبوذر الغفاري، المقداد بن الأسود، أُبي بن كعب، عمار بن ياسر، خالد بن سعيد بن العاص، بريدة الأسلمي، خزيمة بن ثابت، أبو الهيثم بن التيهان، عثمان بن حنيف، سهل بن حنيف، جابر بن عبدا الأنصاري، أبو أيوب الأنصاري، حذيفة بن اليمان، عبدا بن عباس، زيد بن أرقم، سعد بن عبادة، قيس بن سعد.

وعلى رأس هؤلاء تخلّف أهل البيت (عليهم السلام) جميعاً، وجيش أسامة ابن زيد بكامله، بالإضافة إلى العباس بن عبدالمطلب عم الرسول (صلى ا عليه وآله وسلم)، والبراء بن عازب، كانوا مع الإمام علي (عليه السلام)، وهؤلاء خيرة أصحاب النبي (صلى ا عليه وآله وسلم)وصفوته لم يكونوا حاضرين.

فأين الاجماع على أبي بكر؟! وأين الشورى التي ينعقون بها ليل نهار؟! وأين نصاب التصويت؟!

---

(١) الاستيعاب: ٩٧٣/٣.

أبرز العوامل التي دفعتني للتشيع هي آية التبليغ:

هناك أمور كثيرة دفعتني للتشيع أذكر منها:

ثبوت أن مذهب أهل البيت (عليهم السلام) هو الفرقة الناجية، ونص رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) الصريح على خلفائه الاثني عشر خليفة، وعدم ثبوت أن أهل السنّة يتمسكون بالسنّة، والافتراءات التي وجدتها على رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)وأهل بيته والافتراء على الأنبياء (عليهم السلام) ونسبتهم للخطأ والمعصية، وثبوت تأكيد النبي (صلى ا عليه وآله وسلم)على التمسك بكتاب ا وعترته أهل بيته من خلال مصادر سنية.

لكن أبرز العوامل التي دفعتني للتشيع هي:

آية التبليغ، والآية هي قوله تعالى: (بلغْ ما أُنزِلَ إليك من ربك وإن لم تَفْعلْ فَما بلغْتَ رِسالَتَه واللّه يعصمك من الناس) (١)، وهذه الآية الكريمة نزلت على رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) في غدير خم، وقد أجمع المفسرون من السنة والشيعة على أنّها نزلت في شأن الإمام علي (عليه السلام)، وهي أمر إلهي بتنصيب الإمام (عليه السلام)خليفة لرسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)، والإمام

(١) المائدة: ٦٧.

الواجب طاعته.

فعند مانزل الأمين جبرئيل (عليه السلام)بالأمر أشفق رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)من مخالفة القوم لأمره، ونادى ربه قائلا: يارب إن قومي حديثوا عهد بالجاهلية، فمتى أفعل هذا يقولوا: يريد الأمر لابن عمه وأهله.

فهبط الأمين مرة ثانية وقال له: يامحمد، إن ا يقرئك السلام، ويقول لك: (بلّغ بشأن علي)، ولقد كان عدد الحاضرين مائة ألف ويزيدون، وأمر الناس بالبيعة، وألبس الإمام عمامته السحاب، وصعد الناس ليبايعوا رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)والإمام علي (عليه السلام)وعلى رأس القوم أبو بكر وعمر، وقال عمر للإمام (عليه السلام): هنيئاً لك يابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة (١)، وبعض الروايات جاءت بلفظ بخ بخ لك ياعلي (٢).

ثم قال أبو سعيد الخدري: وا ، لم ينصرف الجمع حتى نزلت هذه الآية: (الْيوم أَكْملْتُ لَكُم دينَكُم وَأَتْممتُ علَيكُم نعمتي

---

(١) شواهد التنزيل للحسكاني: ١/١٩٢ (٢٤٩)، الدر المنثور للسيوطي: ٣/١٩، فتح القدير للشوكاني: ٢/٢٠، روح المعاني للآلوسي: ٣/٣٥٩، التفسير الكبير للرازي: ٤/٤٠١، فرائد السمطين للجويني: ١/١٥٨ (١٢٠)، عمدة القاري للعيني: ١٨/٢٨٦، ينابيع المودة للقندوزي: ١/٣٥٩.

(٢) مناقب المغازلي: ١٨ (٢٤)، مناقب الخوارزمي: ١٥٦ (١٨٣)، شواهد التنزيل للحسكاني: ١/١٥٨ (٢١٣)، تاريخ ابن عساكر: ٤٢/٢٣٣.

ورضيتُ لَكُم الإِسلاَم ديناً) (١)، فنادى النبي الأعظم: ا أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة، ورضى ا برسالتي، وبالولاية لعلي بعدي (٢).

وقد روى هذا الحديث من أهل السنة والجماعة مايقارب ثلاثمائة وستون شخصاً، ولكن ضغائن قوم أخفت علينا الحقيقة، وضلّت وأضلّت الأمة بتعتيمها على ذكر الشواهد والفضائل، وما جرى بعد الوفاة هو الدليل على عدم إتباع القوم للسنة الشريفة، ولا حتى كتاب ا المجيد.

---

(١) المائدة: ٣.

(٢) شواهد التنزيل للحسكاني: ١٥٧/١ (٢١١ ـ ٢١٣)، البداية والنهاية لابن كثير: ١٥٢/٥ (١٥٢)، و....

وأعلنت التشيع:

بعد مراجعاتي وطرح: أسئلتي على عدد من المشايخ واعتراف البعض بالخطأ الحاصل في تاريخنا الإسلامي والخلل في الرؤية الإسلامية، ذهبت إلى صديقي (أبو عبدو) وبدأنا بالحديث حول تلك الأمور.

نوه لي أبو عبدو بحديث من صحيح البخاري، هو قول عمر بن الخطاب: "من بايع رجلاً من غير مشورة المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه، تغرة أن يقتلا" (١)، ثم قابله بحديث لعمر بن الخطاب أيضاً: "كانت بيعة أبي بكر فلتة، وقى ا شرها، فمن عاد لمثلها فاقتلوه" (٢).

نهضت صائحاً: هذا اعتراف صارخ، ولا حجة لأهل السنة والجماعة أن يقولوا كان الأمر شورى، بل زيف واختلاق.

---

(١) صحيح البخاري: ٢٨٩/٤ (٦٨٣٠).

(٢) تاريخ اليعقوبي: ١٠٩/٢، تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي، وطبقات ابن سعد: ٢٢٩/٢.

ثم خرجت من عند "أبو عبدو"، واستأجرت سيارة، وقلت للسائق: باتجاه السيدة زينب (عليها السلام).

وصلت إلى مقام السيدة، ودخلت إلى صحن المقام، ووقفت وقبلت الأرض والباب الخشبي الكبير طالباً الاذن من مولاتي للدخول، وأخذت أتمثل بقول الشافعي:

يا أهل بيت رسول ا حبكم فرض من ا في القرآن أنزله

كفاكم من عظيم القدر أنكم من لم يصلّ عليكم لا صلاة له

واستدركت قائلا:

إن كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي

أشهد أن علياً أمير المؤمنين ولي ا وحجته، وأن أولاده هم الأوصياء والأتقياء، وأشهد أني أواليهم وأتبرأ من أعدائهم، وأنصر من نصرهم، وأخذل من خذلهم، وألعن من ظلم حقهم واستباح حرمتهم إلى يوم الدين.

وذرفت دموع الندم على مافاتني، ورجوت ا أن يغفرلي تقصيري وقلّة درايتي، وعدتُ إلى المنزل وكأن شيئاً ثقيلا قد انزاح عن صدري.

وجدت أبا عبدو أمام بناء المنزل واقفاً ينتظر، فقال لي: لقد أقلقتني على كيفية الصورة التي خرجت بها من عندي، فأنهيت بعض الأعمال وجئت لأراك فلم أجدك، وانتظرت هنا حتى حضرت، ماذا جرى؟ أين ذهبت؟

فقلت له ماجرى معي وذهابي إلى مقام السيدة (عليها السلام).

قال لي: وكيف بهذه السرعة؟!

فقلت له: بحديثك اليوم بينت لي كم كنا مغرورين ومفتونين بهؤلاء القوم، كيف كنا نتبع أناساً ضلّوا وأضلوا الأمة؟! كيف أتبع رجلا لا علم لديه بدليل قوله: "لولا علي لهلك عمر" (١)، ولو كان فقيهاً لاستغنى بفقهه عن الآخرين، فالفقيه العالم لا تعلّمه امرأة، كما أن أبابكر يقول: "وليت عليكم ولست بخيركم" (٢)، فهو يعترف بأنه هناك من هو أفضل منه، فكيف اغتصب الخلافة؟! وعثمان يقول: لا أنزع قميصاً قمصني إياه ا (٣)، فهل الخلافة أصبحت قمصان لديهم وسراويل؟ ما هذا الاستهتار بالدين وبالأمة جمعاء، وحتى أن

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر: ١١٠٣/٣، مناقب الخوارزمي: ٨١، ينابيع المودة للقندوزي: ٢١٦/١.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٨٦/٢، تاريخ الطبري: ٢٢٤/٣، كنز العمال: ٥٩٩/٣ (١٤٠٦٢).

(٣) تاريخ الطبري: ٣٧٢/٤.

معاوية يقول: تظنون أني أقاتلكم من أجل الصلاة والصوم والحج، لا أنا أقاتلكم لأتأمر عليكم فأين الشريعة المحمدية؟! لقد وجدتها عند أناس أذهب ا   عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، والحمد   الذي هدانا، ولولا ا   لما اهتدينا.

سألني صديقي عن المتعة:

مضى وقت طويل وأنا أعمل بمهنتي نهاراً وأراجع بعض المصادر والكتب ليلا، وذات يوم جاءني صديق قديم يدعى منير سالم كنت أدرس أنا وإياه في المدرسة، وكنت أزوره في بعض الأوقات.

وعندما أراد أن يلتقي بي أشكل عليه مكان منزلي، فسأل أحد أصحاب المحلات القريبة من بيتنا؟ فقال له صاحب المحل: هذا الذي خرج من السنة والجماعة، كيف تريد رؤيته؟ إن أحداً من سكان الحي لا يعتبره موجوداً بيننا!

فقال له صديقي: ماقصدك أنّه خرج من السنة والجماعة؟

فأجابه صاحب المحل: هذا الشاب إلتجأ إلى الشيعة وأصبح منهم، وإذا ذهبت إليه الآن قد تجده يتعامل معهم في المتعة وغيرها مما يقولون أنهم على الطريقة الصحيحة، ثم أشار له على منزلي.

أخبرني بكل ما جرى بينه وبين صاحب المحل..

ثم بادرني بالسؤال: هل صحيح أنك خرجت من السنة والجماعة كما قال لي الرجل؟!

قلت: نعم، هذا إذا كان هناك سنّة أو جماعة عندهم، لأنني

وجدت أن أهل السنة كما يدعون لا يطبقونها، والجماعة ماهي إلاّ دعوة لتفريق الأمة، وماوجدته هو السنة الصحيحة كما نص عليها رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) (أدعوكم للتمسك بكتاب ا وعترتي أهل بيتي) (١)، وهما حجة ا على البشر، وذكرت له بعض الأحاديث التي تدلّ على وجوب التمسك بأهل البيت (عليهم السلام)والصحابة المخلصين.

منير: يبدو أنك اجتمعت مع أحد من هؤلاء الشيعة؟

قلت: إن الروايات السنية أكدت على صحة مذهب الشيعة ونهجهم، فاتبعتهم.

منير: أريد أن أسألك عن المتعة ماهي؟ ولماذا تعملون بها مع تحريمها كما قيل لي؟

قلت: قبل كلّ شيء سأبين لك معنى المتعة في اللغة، ثم نرد الأحاديث التي تدلّ على عدم تحريمها، ومن فعلها ومن حرمها.

معنى المتعة:

إذا فتحت أي معجم لغوي أو كتاب يبين لك معاني الكلمات في اللغة العربية، فمثلاً كتاب "مختار الصحاح" لابن أبي بكر الرازي باب الميم تجد كلمة (متع) هي المنفعة، وماتمتعت به قد متع به، أي

---

(١) وهو حديث الثقلين، وقد تم ذكر مصادره سابقاً.

انتفع من باب قطع، قال ا تعالى: (ابتغَاء حلْية أَو متَاع) (١)، وتمتع بكذا واستمتع به، والمتعة: هي الاسم، فمتعة الحج أو متعة النساء هي انتفاع، وأمتعه ا بكذا، متعه تمتيعاً (٢).

وجاء المعنى في لفظ آخر هو العطاء، كما في قوله: (متَاعاً بِالْمعروف) (٣).

معناها في القرآن:

لقد جاء ذكر المتعة والمتاع في القرآن الكريم ولازمه بأجل وحين، وأذكر بعض آيات وردت فيها كلمة المتعة لتستبين أكثر.

قال تعالى: (ومن كفَر فأُمتعه قَليلا) (٤).

وقال: (نُمتعهم قَليلا ثُم نَضطَرهم إِلَى عذَاب غَليظ) (٥).

وقال: (كُلُوا وتَمتعوا قَليلا إِنكُم مجرِمون) (٦).

وقال: (ولَكُم في الأَرض مستَقَر ومتَاع إِلَى حين) (٧).

---

(١) الرعد: ١٧.

(٢) مختار الصحاح لعبد القادر: كلمة متع، وفي لسان العرب لابن منظور نفس المعنى والكلام فراجع.

(٣) البقرة: ٢٣٦.

(٤) البقرة: ١٢٦.

(٥) لقمان: ٢٤.

(٦) المرسلات: ٤٦.

(٧) الأعراف: ٢٤.

فقيدت هذه الآيات المتعة والمتاع لأجل وحين، ونستخلص أن كلمة المتعة أو التمتع هي التلذّذ بمنفعة لفترة معينة، وهو معنى لزواج المتعة.

المعنى الفقهي وثبوته:

وعرف الفقهاء المتعة بأنها: زواج عقد بامرأة زواج مؤقت بمهر معلوم ولمدة معينة معلومة لدى الطرفين، وهو زواج مباح في التشريع الإسلامي، وسألقي الضوء على الآية وثبوتها: (فَما استَمتَعتُم بِهِ منْهن فَآتُوهن أُجورهن فَرِيضةً) (١).

لقد فسر بعض المسلمين أن المراد من هذه الآية هو الانتفاع بالزوجة الدائمة، وهذا التفسير غريب وبعيد عن المطلوب، فقد أثبتها كبار القراء مثل ابن عباس وأبي بن كعب وسعيد بن جبير والسدي بقول إضافي، هو تفسير معقول، وهو "إلى أجل مسمى فآتوهن أجورهن".

وبهذا القول لا يبقى أي شك أو تردد من حمل الآية على زواج المتعة، لأنه هو الزواج الوحيد الذي يشترط فيه ذكر مدة أو أجل، وقد أثبت المفسرون عند السنة أمثال الزمحشري في كشافه ينقل عن ابن عباس: إن آية المتعة من المحكمات.

---

(١) النساء: ٢٤.

وقد ذكر شيخ الطائفة الإمامية الطوسي (رحمه ا) "نكاح المتعة لدينا صحيح مباح في الشريعة، وصورته أن يعقد عليها مدة معلومة بمهر معلوم، وإذا كانت المدة مجهولة لم يصح، وإن لم يذكر المهر لم يصح العقد، وبهذين العقدين أو الشرطين يتميز الزواج المؤقت عن الزواج الدائم" (١).

وقد أجمع أن الآية المذكورة في المتعة عدد من كبار المفسرين، مثل ابن كثير والطبري والقرطبي والسيوطي، وجاء عن ابن كثير في تفسيره: إن هذه الآية الدالة عى نكاح المتعه كان مشروعاً في بداية الإسلام (٢).

التحريم والاباحة:

منير: لكن هناك من قال لي إنّها حرمت، فما قولك؟ لقد حرمت زمن الرسول (صلى ا عليه وآله وسلم).

قلت: جاء في الأحاديث أنه في صدر خلافة عمر بن الخطاب صعد عمر المنبر وقال: "ثلاثه كن على عهد رسول ا وأنا أحرمهن ومعاقب عليهن: متعة الحج، ومتعة النساء، وحي على خير العمل في الأذان" (٣).

---

(١) المبسوط، كتاب نكاح المتعة: ٢٤٦/٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ٤٨١/١.

(٣) شرح تجريد العقائد للقوشجي: ٣٧٤.

منير: مقاطعاً! إذن نحن متفقون على تحريمها حسب سردك للحديث.

قلت: لا! فقد ثبت من الصحاح أنها كانت موجودة أيام رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)وخلافة أبي بكر وصدر خلافة عمر.

فقد ورد في صحيح مسلم عن أبي الزبير قال: "سمعت جابر بن عبدا يقول: كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق على عهد رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) وأبي بكر حتى نهى عنها عمر" (١).

وأخرج البيهقي في سننه قال جابر: "تمتعنا مع رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)ومع أبي بكر، فلما ولي عمر خطب الناس فقال إن رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)هذا الرسول وإن هذا القرآن هذا القرآن، وأنهما كانتا متعتان على عهد رسول ا وأنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما: أحدهما متعة النساء... والأخرى متعه الحج" (٢).

فانظر يا أخي، هذا التحدي والجرأة على القرآن ورسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم).

وإن أقوال الصحابة تؤيد وجودها وإباحتها زمن الرسول (صلى ا عليه وآله وسلم)، فقد قال عبدا : "كنا نغزو مع رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)ليس لنا نساء، فقلنا: ألا نستخصي؟ فنهانا عن ذلك، ثم رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب

---

(١) صحيح مسلم: ٨٢٩/٢ (١٤٠٥).

(٢) سنن البيهقي: ٣٣٥/٧ (١٤١٧٠).

إلى أجل، ثم قرأ عبدا : (يا أَيها الذين آمنُواْ لاَ تُحرمواْ طَيبات ما أَحل ا ُ لَكُم ولاَ تَعتَدواْ إِن ا َ لاَ يحب الْمعتَدين) (١).

والطيالسي في مسنده عن مسلم القرشي، قال: "دخلنا على أسماء بنت أبي بكر فسألنا عن متعه النساء، فقالت: فعلناها زمن النبي (صلى ا عليه وآله وسلم)" (٢).

وفي ميزان الاعتدال: تجد أن ابن جريج قد تزوج نحواً من تسعين امرأة نكاح متعة (٣)! فأين التحريم النبوي على ذلك؟! حتى التابعون فعلوها ولم يلتزموا بقول عمر بن الخطاب.

وهذا ابن عمر سئل عن المتعة فقال: "فعلناها زمن رسول ا ، وتقول حرمها أبي، أنترك قول رسول ا ونتبع أبي".

المتعة عند أهل البيت (عليهم السلام):

إن أفعال وأحكام أهل البيت (عليهم السلام) دائماً ضمن ضوابط وأحكام القرآن الكريم وسنة رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم):

"جاء عبدا بن عمير الليثي إلى الإمام أبي جعفر (عليه السلام) فقال: ماتقول في متعة النساء؟

---

(١) صحيح مسلم: ٨٢٨/٢ (١٤٠٤)، المائدة: ٨٧.

(٢) مسند الطيالسي: ٢٢٧/١ (١٦٣٧).

(٣) ميزان الاعتدال للذهبي: ٤٠٤/٤ (٥٢٣٢).

فقال الإمام (عليه السلام): أحلّها ا في كتابه وعلى سنة نبيه، فهي حلال إلى يوم القيامة.

فقال عبدا : يا أبا جعفر، مثلك يقول هذا وقد حرمها عمر ونهى عنها؟

فقال الإمام (عليه السلام): وإن كان فعل.

فقال: فإني أعيذك با من ذلك أن تحلّ شيئاً حرمه عمر.

فقال الإمام: فأنت على قول صاحبك، وأنا على قول رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)، فهلم ألاعنك أن الحق ماقال رسول ا ، وأن الباطل ماقال عمر" (١).

وعن أبي مريم عن أبي عبدا (عليه السلام) قال: "المتعة نزل بها القرآن، وجرت بها السنة من رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)" (٢).

هنا خرج صديقي لموعد له وودعني على أمل لقاء آخر، وتتميماً للفائدة أكمل البحث في الزواج المؤقت.

من قال بإباحتها:

أذكر طائفة من صحابة رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) وبعض التابعين والعلماء ممن قال بإباحتها، تأكيداً لقولي:

---

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي: ٦/٢١ (٢٦٣٥٩).

(٢) نفس المصدر.

١ ـ عبدا بن مسعود.

٢ ـ عبدا بن عمر.

٣ ـ يعلى بن أمية.

٤ ـ عبدا بن عباس.

٥ ـ جابر بن عبدا .

٦ ـ صفوان بن أمية.

٧ ـ معاوية بن أبي سفيان.

٨ ـ عمرو بن حريث.

٩ ـ عمران بن حصين.

١٠ ـ الزبير بن العوام.

ومن والتابعين:

١ ـ ابن جريج.

٢ ـ عمر بن دينار.

٣ ـ سعيد بن جبير.

٤ ـ طاووس.

٥ ـ عطاء.

وقد قال أحـد السـادة الكـرام: حلّية المتـعة كانت ثابتة بإجمـاع الصحابة، لقد قال الإمام علي (عليه السلام): "لولا نهي عمر عن

المتعة لما زنى إلاّ شقي" (١).

الأثر الاجتماعي من تحريمها:

لقد قال أحد الكتاب المعاصرين: إن الإنسان في المجتمع أياً كانت عقيدته لا يعدو أن يكون واحداً من أربعة: إما متزوج أو متمتع أو زان أو شاذ، والزنا هو تجاوز لضوابط الشرع في علاقة الرجل بالمرأة وإن كان من الناحية الطبيعية لا يختلف عن الزواج (٢).

إن المتعة رخصة من ا ورحمة لإطفاء نار الشهوة والغريزة التي خلقها ا عز وجلّ، ورخص لنا المتعة كما رخص الزواج الدائم حتى لا نحتاج إلى فعل الحرام، هناك ظواهر اجتماعية شاذة كثيرة بالمجتمع ومن ضمنها علاقات الدعارة والاباحية بين الجنسين، لماذا فعل الحرام طالما هناك رخصه إلهية بزواج مؤقت لمدة معلومة؟!

إن الذين يشنعون على المتعة فليسألوا أنفسهم ما حلّ العلاقات السرية في الجامعات والمدارس والطرق؟ فليتقدموا لحلّها ودراسة أسبابها.

إن المشكلة الجنسية في مجتمعنا الاسلامي أول ثغرة يدخل إليها

---

(١) تفسير الطبري: ١٧/٥ (٧١٨٥)، وغيره.

(٢) السيد إدريس الحسيني في توضيحات وردود: ١٢٢.

أعداؤنا من خلال إغراء شبابنا وشاباتنا بالصور الخلاعية والأفلام عبر القنوات الفضائية وغيرهما، لماذا لا نعود وننظم أنفسنا ضمن ضوابط الإسلام؟!

لماذا الفساد الأخلاقي أصبح في الشوارع، وليس فقط بالبيوت؟! فلينظر المشنعون ويوجدوا حلولا إن استطاعوا!

ففي إحدى المرات كنت عائداً ليلا من زيارة أحد الأصدقاء، واستأجرت سيارة تاكسي، وكان السائق في منتصف الأربعين، وجلست بجانبه، وفجأة توقف أمام أحد مفترقات الطرق ونادى صديق له أو قريبه، وهو شاب أصغر منه بالسن نسبياً، وصعد قريبه في المقعد الخلفي، وأخذا بالتحدث حول عمل السائقين ليلا وأن جهاز الخليوي قد نفع بعض السائقين كثيراً.

فقال الشاب: لو أنك ترى يا أبا طلال ـ مخاطباً السائق ـ كيف أن هذه النعمة تحولت إلى نقمة ملعونة.

أبو طلال: وكيف ذلك، إن السائق استفاد منها والزبون أيضاً استفاد؟

الشاب: هناك حفنة من السائقين الشاذين يقفون يومياً أمام الجامعات، وقد كونوا مكتب دعارة متحرك وسريع بواسطة السيارة والخليوي، يأتي الزبون الشاذ فيعرضون عليه صور لبعض البنات الشاذات، فيرون الصورة، وأيما فتاة تعجبهم يتم الاتصال بها وهي

داخل الجامعة فتخرج مع الزبون ويذهبون سوية.

الصدق أنني عند ماسمعت هذه المحاورة تألمت، حتى بان ذلك في وجهي، فانتبه السائق لذلك وقال لي: مابك؟!

قلت له: الهذا الحد وصلت أمورنا؟! تعساً لهذه الحضارة الجوفاء، هل وصل بنا الأمر لهذا المستوى، فأين الأخلاق والعرف والدين؟!

أقول لكم: أليس الأجدى العمل بنظام الإسلام والسنة النبوية؟! أليس الزواج المؤقت ضابطة فاعلة لهكذا أفعال؟! انظروا إلى الأمراض الخطيرة التي وفدت إلينا أليست من الزنا الحرام أعاذنا ا وإياكم من شرورها؟!

كم نرى من شبابنا يتعاملون مع العادة السرية وينتهي بهم الأمر إلى المرض العصبي والوهن، أدخلوا عيادات أطباء الأمراض الجنسية والتناسلية واستقرئوا أسباب وجود المرض هناك.

لقد قرأت في كتاب "فقه السنة" (١) أن علماء السنة بعض منهم أجاز وأباح الاستمناء طلباً لصيانة النفس إذا لم تكن هناك زوجة أو أمة، فهل هذا حلّ يرضي ا سبحانه ورسوله (صلى ا عليه وآله وسلم).

ماذا يحلّ بالمرأة التي يموت عنها زوجها وهي في ريعان شبابها ولم يتقدم لها أحد بزواج دائم؟! هل تتجه للحرام؟! أليس لها شعور

---

(١) فقه السنة لسيد سابق: ٤٣٤/٢.

ورغبه للرجل، أم الرجل له كلّ شيء والمرأة لا شيء؟!

مامصير اليائسات والعوانس اللواتي لم يسعفهن حظ الزواج، هل الحرام هو الحلّ؟!

فليفتنا أهل الخبرة بالحلّ، لكن لن يجيبوا وهم يعلمون الحلّ، ولكن لا يريدون تثبيت جرم مخالفة نص ا سبحانه وسنة نبيه، إن التحريم السياسي هذا قضى على شبابنا وشاباتنا ودعاهم للفجور والفسق، (وسيعلَم الذين ظَلَموا أَي منقَلَب ينقَلبون).

الحلّ موجود:

إن العمل بالزواج المؤقت حلّ اسلامي اجتماعي لا بديل عنه، لأن ضمنية الدعوة الإسلامية هي التهذيب والإصلاح، فاذا الصحابة ومن بعدهم التابعون قد قاموا بها بعد إباحة الرسول (صلى ا عليه وآله وسلم) لها وبعد وفاته وفيما بعد، وقد كانت المجتمعات وقتها لم يكن فيها فتن مثلما نجد ونرى الآن من خروج العاريات والسافرات في شوارعنا، فلما لا نفعلها ضمن ضوابط اسلامية وخلقية؟

لقد جعل ا العقاب على الزاني والزانية بالجلد أو الرجم عقاباً على ما اقترفت يداهما، ولكن بالمقابل جعل لنا لطف ورحمة، فا سبحانه ليس بظالم، بل هو رحيم بعباده لا يترك الأمر من دون حجة ولا يعاقب إلاّ بحجة، سيسألنا ألم أرخص لكم زواجاً مؤقتاً بمهر ومدة معينتين، فلم لجأتم إلى الحرام؟!

الخاتمة:

الحمد   رب العالمين.

اللهم إنا نوالي من واليت ونعادي من عاديت.

اللهم إنا تمسكنا بالثقلين اللذين أمرنا رسولك الكريم (صلى ا عليه وآله وسلم)بالتمسك بهما: كتاب ا ، والعترة الطاهرة.

اللهم احشرنا مع محمد وآل محمد برحمتك يا رب العالمين، وتجاوز عما مضى من سيئاتنا، وزد في حسناتنا، وعجل لنا بفرجك الكريم صاحب العصر مظهر الدين ومجدد الأحكام وناشر العدل والبر والاحسان.

اللهم إنا نتبرأ ممن ظلم محمداً وآل محمد وغصب حقهم المشروع.

اللهم اجعلنا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية والذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

حررت في دوما

٢٠ / صفر / ١٤٢٣

خادم أهل البيت (عليهم السلام)

باسل محمد بن خضراء الحسني

مصادر الكتاب:

١ ـ أخبار الدول العباسية، تحقيق عبدالعزيز الدوري، بيروت، دار الطليعة.

٢ ـ آراء يهدمها الإسلام، شوقي أبو خليل.

٣ ـ إرشاد الساري شرح صحيح البخاري، أبو العباس شهاب الدين أحمد القسطلاني ٩٢٣هـ، دار الفكر، بيروت، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

٤ ـ أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي ٤٦٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

5 ـ الاستيعاب، يوسف بن عبدا بن محمد بن عبدالبر القرطبي ٤٦٣هـ، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

٦ ـ اُسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني المعروف بابن الأثير ٦٣٠هـ، انتشارات اسماعيليان، طهران.

٧ ـ إسعاف الراغبين في سيرة المصطفى، محمد الصبان (بهامش مشارق الأنوار)، طبعة مصر.

٨ ـ الإصابة، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ٨٥٣هـ، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

٩ ـ أصول الفقه (الفصول في الأصول)، أحمد بن علي الرازي الجصاص ٣٧٠هـ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

١٠ ـ إقبال الأعمال، رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس ٦٦٤هـ، مكتب الإعلام الاسلامي، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

١١ ـ الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، أسد حيدر، طهران، مكتبة الصدر، الطبعة الرابعة ١٤١٣هـ.

١٢ ـ تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي ١٢٠٥هـ، بيروت، مكتبة الحياة.

١٣ ـ تاريخ ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي ٨٠٨ هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٤ ـ تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك)، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ٣١٠هـ، لبنان، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

١٥ ـ تاريخ مدينة دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر ٥٧١هـ، دار الفكر، بيروت ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

١٦ ـ تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح ٢٨٤هـ، دار صادر، بيروت.

١٧ ـ تحفة الأحوذي (بشرح جامع الترمذي)، أبو العلاء محمد بن عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوي ١٣٥٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٨ ـ تذكرة الحفاظ، محمد بن طاهر القيسراني ٥٠٧هـ، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

١٩ ـ تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ٧٧٤هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

٢٠ ـ التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، محمد بن عمر بن الحسين ابن الحسن الفخر الرازي ٦٠٦هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٢١ ـ جامع البيان، ابن جرير الطبري ٣١٠هـ، بيروت، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

٢٢ ـ الجامع الصغير، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ٩١١هـ، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ.

٢٣ ـ الجامع الكبير (سنن الترمذي)، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٨م.

٢٤ ـ جمع الجوامع، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر

السيوطي ٩١١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

٢٥ ـ الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة، الشيخ يوسف البحراني ١١٨٦هـ، قم، جامعة المدرسين.

٢٦ ـ ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، محب الدين أحمد بن عبدا الطبري ٦٩٤هـ، مكتبة القدسي، القاهرة ١٣٥٦هـ.

٢٧ ـ الرياض النضرة في مناقب العشرة، أبو جعفر أحمد بن عبدا محب الدين الطبري ٦٩٤هـ، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

٢٨ ـ سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني ٢٧٥هـ، دار الفكر، بيروت.

٢٩ ـ سنن الدارقطني، علي بن عمر بن الحسن الدارقطني البغدادي ٣٨٥هـ، دار المعرفة، بيروت ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م.

٣٠ ـ سنن الدارمي، عبدا بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي، ٢٠٥هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

٣١ ـ السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ٤٥٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٣٢ ـ السنن الكبرى، أحمد بن شعيب أبو عبدالرحمن النسائي

٣٠٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٣٣ ـ سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ١٣٧٤هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٣٤ ـ السيرة الحلبية في سيرة الأمين والمأمون، علي بن برهان الدين الحلبي ١٠٤٤هـ، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٠هـ.

٣٥ ـ شرح تجريد العقائد، علاء الدين علي بن محمد القوشجي ٨٧٩هـ، منشورات الشريف الرضي، قم، طبعة حجرية.

٣٦ ـ شرح الزرقاني على موطأ مالك، محمد بن عبدالباقي بن يوسف الزرقاني ١١٢٢هـ، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

٣٧ ـ شرح نهج البلاغة، أبو حامد بن هبة ا بن محمد بن محمد ابن الحسين ابن أبي الحديد المدائني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م.

٣٨ ـ شرح نهج البلاغة، للشيخ محمد عبده، دار المعرفة، بيروت.

٣٩ ـ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري ٣٩٣هـ، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ.

٤٠ ـ صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم

التميمي البستي ٣٥٤هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٤١ - صحيح ابن خزيمة، محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري ٣١١هـ، المكتب الإسلامي، بيروت ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

٤٢ - صحيح البخاري، أبو عبدا محمد بن إسماعيل ٢٥٦هـ، بيروت، دار الكتب العلمية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٤٣ - صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري ٢٦١هـ، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٤٤ - صحيح مسلم بشرح النووي (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج)، أبو زكريا يحيى بن شرف الحزامي الحوراني المعروف بمحيي الدين النووي ٦٧٦هـ، دار المعرفة، بيروت، الطبعة السادسة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٤٥ - الصواعق المحرقة، أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي ٩٧٣هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٤٦ - الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع المعروف بابن سعد ٢٣٠هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٤٧ - العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ٣٢٨هـ،

دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٤٨ ـ عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد العيني ٨٥٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

٤٩ ـ الغدير في الكتاب والسنة والأدب، عبدالحسين أحمد الأميني، مركز الغدير، قم، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

٥٠ ـ فتح الباري (شرح صحيح البخاري)، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠هـ.

٥١ ـ فرائد السمطين، إبراهيم بن محمد بن المؤيد بن عبدا بن علي بن محمد الجويني ٧٣٠هـ، مؤسسة المحمودي، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ ـ ١٩٨٧م.

٥٢ ـ فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل أبو عبدا الشيباني ٢٤١هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٥٣ ـ فقه السنة، الشيخ سيد سابق، بيروت، دار الكتاب العربي.

٥٤ ـ الفقه على المذاهب الأربعة، عبدالرحمن الجزيري ١٣٨٤هـ، مكتبة الحقيقة، تركيا ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٥٥ ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف المناوي، مصر، الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ، المكتبة التجارية الكبرى.

٥٦ ـ القطوف الدانية في المسائل الثمانية، عبدالمحسن عبدا السراوي، بيروت دار المودة، الطبعة الثانية ١٩٩٤م.

٥٧ ـ الكافي (الأصول والفروع)، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني ٣٢٩هـ، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة السادسة ١٤١٧هـ.

٥٨ ـ الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد الشيباني المعروف بابن الأثير ٦٣٠هـ، دار صادر، بيروت ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٥٩ ـ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي ٩٧٥هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

٦٠ ـ لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري ٧١١هـ، نشر أدب الحوزة، قم، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٦١ ـ مجمع الزوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي ٨٠٧هـ، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٧هـ.

٦٢ ـ المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي ٢٧٤هـ، دار الكتب الإسلامية.

٦٣ ـ مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي

٧٢١هـ، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٦٤ ـ مختصر التحفة الاثنى عشرية، محمود شكري الآلوسي، مكتبة ايشيق، تركيا، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٦٥ ـ المستدرك على الصحيحين، أبو عبدا محمد بن عبدا النيسابوري المعروف بالحاكم ٤٠٥هـ، دار الفكر، بيروت ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

٦٦ ـ مسند أبي عوانه، أبو عوانه يعقوب بن إسحاق الأسفرائيني ٣١٦هـ، بيروت، دار المعرفة، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

٦٧ ـ مسند أبي يعلى، أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي ٣٠٧هـ، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٦٨ ـ مسند أحمد، أحمد بن حنبل أبو عبدا الشيباني ٢٤١هـ، مؤسسة قرطبة، مصر.

٦٩ ـ مسند الطيالسي، سليمان بن داود أبو داود الفارسي البصري الطيالسي ٢٠٤هـ، بيروت، دار المعرفة.

٧٠ ـ مسند عبد بن حميد، أبو محمد عبد بن حميد بن نصر ٢٤٩هـ، القاهرة، مكتبة السنة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٧١ ـ المعارف، أبو محمد عبدا بن مسلم المعروف بابن قتيبة

٢٧٦هـ، منشورات الشريف الرضي، إيران، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٧٢ ـ المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني ٣٦٠هـ، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م.

٧٣ ـ الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبدالكريم بن أحمد الشهرستاني ٥٤٨هـ، دار المعرفة، بيروت.

٧٤ ـ المناقب، الموفق بن أحمد بن محمد البكري المكي الخوارزمي ٥٦٨هـ، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، الطبعة الثانية ١٤١١هـ.

٧٥ ـ مناقب الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، أبو الحسن علي بن محمد الشافعي الشهير بابن المغازلي ٤٨٣هـ، دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٧٦ ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ٧٤٨هـ، الطبعة الأولى ١٩٩٥م.

٧٧ ـ نيل الأوطار (في أحاديث سيد الأخيار)، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ١٢٥٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.